سلسلة شروح فضيلة الشيخ ١

شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

الشيخ لم يراجع التفريغ

دار أصحاب التعليق الميسر

العقيدة

شرح

ثلاثة الأصول وأدلتها

alanqri drangari

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ ①

شرح

ثلاثة الأصول وأدلتها

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

أ.د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

النسخة الأولى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فهٰذا المجلس الأول في شرح الكتاب الثاني من «برنامج التعليم الميسر»، والكتاب الثاني هو: «**الثلاثة أصول وأدلتها**» للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المتوفى سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة المقامة في مسجد النخيل بمدينة الرياض عصر الجمعة الأول من جمادى الأولى لعام ستة وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، ويشرح الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد العزيز العنقري وفقه الله.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ فكتاب ثلاثة الأصول للشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله تعالى عليه من الكتب النافعة على قلة أوراقه إلا أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ركز فيه تركيزًا بالغًا على ما ينبغي أن يُعلم عن أصول ثلاثة يُسئل عنها العبد في قبره، والأصول الثلاثةُ أراد بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ -كما سيأتي-:

معرفة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعرفة الدين، ومعرفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي التي يُسئل عنها العبد في قبره فيقال له: «إذا أقعد بعد أن ولى عنه الناس، وأتاه الملكان يسألانه»: من ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟.

فركّز رحمه الله تعالى عليه على هٰذه الأصول وبيَّنها، ووضَّحها بأسلوب سهل ميسر؛ سنقوم -إن شاء الله تعالى- بشرح الكتاب شرحًا في العموم الأغلب موجزًا، لا يتعمق في كثير من كلماته؛ لأن المقام مقام إيجاز، هٰذه الفترة -إن شاء الله- فترة العصر سننتهي -إن شاء الله- قبل الأذان بنحو ربع ساعة؛ لأن هٰذه الساعة ساعة الجمعة؛ ولأن في المساء أيضًا تقال الأذكار، ويدعو العبد ربه في هٰذه الساعة المباركة ثم -إن شاء الله- نواصل المغرب -إن شاء الله تعالى- إلى العشاء ويكون مثل ما قلنا الشرح متوسطًا، أقرب إلى المتوسط؛ لكن لن يكون شيء فيه من التعمق؛ لأن المقام مقام إنهاء للمتن في فترة وجيزة إن شاء الله.

الشَّرْحُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [سورة العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ (قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)».

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتسمية، وهو المشروع أن يبدأ الإنسان كتابه بذكر الله عَزَّوَجَلَّ ولا ينبغي له أن يخليه من ذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بحيث ينهج نهج أعداء الله عَزَّوَجَلَّ من أهل الكفر، أي:

يبدأوا مباشرةً دون تسمية؛ فهٰذا أولًا على خلاف هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أرسل كتابًا كتب فيه: «**بسم الله الرَّحمٰن الرحيم**»، كما كتب لهرقل: « **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية [آل عمران: ٤٦]**»، فينبغي البدء باسم الله عَزَّوَجَلَّ، وفي كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أن سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما أرسل لملكة اليمن -ملكة سبأ- أرسل لها هٰذا الكتاب ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٠-٣١]، فيبدأ المسلم بالتسمية أو بالحمد يحمد الله ويصلي على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المهم أن لا يخلي كتابه من التسمية.

❍ **الباء في قولك**: «بسم الله» متعلقة إما بفعل تقديره: أبدأ بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، أو متعلقة بالمصدر بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ابتدائي، و«الله» عَزَّوَجَلَّ هو الاسم الذي جميع الأسماء تعود إليه، فإنه كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] فيقال: الله هٰذا الاسم العلم على رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولعظمة هٰذا الاسم؛ فإن الأسماء الأخرى تكون كالأوصاف له، فيقال: الله هو الرَّحمٰن من أسماء الله الرَّحمٰن، ولا يقال: من أسماء الرَّحمٰن الله؛ لأن هٰذا الاسم هو الاسم العظيم لله عَزَّوَجَلَّ؛ فالرَّحمٰن مشتق من الرحمة، وهو على صيغة فعلان، وهو أشد مبالغة من الرحيم الذي هو على صيغة الفعيل، ولهٰذا الرَّحمٰن أمرٌ يشمل الدنيا والآخرة فرحمته تعالى وسعت كل شيء، والرحيم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، واسم الرَّحمٰن خاص بالله عَزَّوَجَلَّ لا يطلق على أحد سواه -سبحانه-، ولا يحل أن يطلق على غيره.

قال المؤلف: «اعلم».

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدأ بقوله: «اعلم»، ما المراد بالعلم؟!

العلم كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم معرفة الهدى بدليله»، هٰذا هو العلم تعريف العلم أن تعرف الهدى، وأن تكون معرفتك للهدى بالدليل، فمَنْ عرف الهدى بدون دليل فهو مقلد، ومن عرف الباطل والضلال وامتلأ معلومات منه فلا يمكن أن يسمى عالمًا؛ لأنه عرف الضلال ولم يعرف الهدى، والعلم إنما يطلق على الهدى، فأما من عرف الضلال فلا يمكن أن يكون عالما -حتى لو عرف مذاهب أهل الشرق والغرب ومذاهب كل أحد-، العلم في رد الباطل، يكون العلم في هٰذه المذاهب ليس أن يعرف ما عليه أهل الكفر والضلال، وما عليه اليهود والنصارى مجردًا؛ لأن هٰذا أمرٌ ليس من الهدى حتى يتعرف، ولا ينبغي أن يتعرف عليه المسلم أصلًا إلا إذا تعرف على الهدى، ومن الأغلاط العظيمة أن يتعرف على ما عند أهل الضلال والكفر والباطل قبل أن يعرف الحق؛ هٰذه بلية داهية من الدواهي التي ابتلي بها الناس في هٰذه السنين؛ أن يتعرفوا على ما عند أهل الكفر والضلال على قلة بضاعتهم، حتى إن الواحد منهم ربما لا يعرف معنى «لا إلٰه إلا الله»، ثم يتعرف على ما عند الشيوعيين والملاحدة والزنادقة والراوافض والمخرفين، وهو لا يعرف الهدى، هٰذا غلط كبير جدًا، العلم هو معرفة الهدى.

❍ **أما رد الضلال؛** فإنه ليس لكل أحد، وإنما لمن رزقه الله تعالى رسوخ القدم في العلم، واحتيج إلى أن يرد؛ أما أن يتعرف على ما عند أهل الباطل وينشر في الناس فلا شك أن هٰذا لا يحل، إذًا العلم هو معرفة الهدى بدليله؛ بأن تعرف الحق والصواب بالدليل، وتكون عندك القدرة على أن تعرف أن دليل هٰذه المسألة كذا.

❍ **فعلى سبيل المثال**: كلمة التوحيد إذا قيل لك: ما معناها؟ قلت: «**لا معبود حق إلا الله**» هٰذا هدى صواب، ما دليلها؟ فإذا لم تعرف دليلها فأنت في هٰذا قد عرفت الحق ولم تدلل عليه؛ فإذا قلت دليله من القرآن قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، «**لا إله**» نفي، «**إلا الله**» إثبات، وقولك: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ **الطاغوت**: هو المعبود من دون الله، والكفر به: هو المقصود في القسم الأول من كلمة التوحيد وهو النفي، وقوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ هو الإثبات في قولك: إلا الله، فتضمنت كلمة التوحيد الإثبات والنفي، هنا عرفت الحق بالدليل، فإذا قلت: إن معنى «لا إله إلا الله» لا معبود حق إلا الله دون أن تدلل؛ فإن هٰذا من معرفة الهدى، وهو حق ومنجي وهو الذي يلقنه العامة ويلقنه الصغار، حتى يلقنوا الصواب، لكن فيما يتعلق بطالب العلم ينبغي أن يتعلم هٰذا الهدى أن يتعلم دليل هٰذا الهدى الذي وصل إليه، فبذلك يكون من ذوي العلم.

❁ قال المؤلف: «اعلم -رحمك الله-».

هٰذا من حسن مخاطبة السامع والقارئ، ومن الأدب أن يُبدأ بالدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ بأسلوب رفيق لين فيه ترغيب للمدعو، ومن ذلك أن تدعوا له؛ فإنه إذا سمعك تدعو له بالرحمة وبالتوفيق أقبل على ما تقول، وفي هٰذا مجانبة للجفاء والغلظة في التعامل مع المدعوين؛ فإن المدعو إذا عومل بالجفاء؛ فإن ذلك أدعى إلى نفوره، أما إذا عومل بالأسلوب الحسن والعبارات الطيبة المناسبة؛ فإن ذلك أدعى لقبوله وإقباله على ما تقول.

❁ قال المؤلف: «أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل».

هٰذه المسائل تشمل الدين كله؛ فينبغي أن يكون عند طالب العلم عنايةٌ بالغة بها، ما المسائل هٰذه؟!

❁ المسألة الأولى:

هي العلم، العلم بماذا؟! العلم بأعظم شيءٍ أن يُعلم، وهو معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، هٰذه أعظم مسائل الدين.

❍ **العلم بالله تعالى لا سبيل إلى أن نعلم ما يتعلق بربنا سبحانه إلا بما علمنا هو سبحانه،** الله تعالى عرّف عباده بنفسه، وهو عز اسمه أعلم بنفسه كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]؛ فيجب أن يتلقى العلم بالله من كتاب الله تعالى.

وأعلم الخلق بالله هو رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى كما زكاه الله في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]؛ فنتعرف على ربنا سبحانه بما عرفنا في كتابه، وبما عرفنا نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فنعرف ربنا به.

❍ **معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد نبي الله** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -ويأتي إن شاء الله تعالى التفصيل في أمر معرفته صلوات الله وسلامه عليه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة-.

❍ **الدليل**: هو الذي يرشد إلى المطلوب، والدليل تارة يكون سمعيًا، وتارة يكون عقليًا.

معرفة دين الإسلام التي ينجو بها العبد هي فيما يتعلق بعامة المسلمين هي إجمالية؛ لأن العلم نوعان:

❍ **النوع الأول**: علم إجمالي.

❍ **النوع الثاني**: علم تفصيلي.

❁ العلم الإجمالي:

ينجو به المؤمن؛ بأن يعرف ما لا بُدَّ أن يعرفه من أصول دينه الكبار، كأن يعلم ما يتعلق برب العالمين من استحقاقه -تبارك وتعالى- بالعبادة وحده، وأن لا يصرف العبادة لغيره سبحانه، وأن يعلم ما يتعلق بانفراده عز اسمه بالربوبية، وأن له الأسماء والصفات التي لا يمكن أن يكون لها نظير في المخلوقين يقاس عليه، يعلم ما يتعلق باليوم الآخر، وأن الله تعالى سيبعث هٰذه الخلائق، يعلم ما يتعلق بالجنة والنار بصفة إجمالية، قد تفوته تفاصيل كثيرة؛ **مثال ذلك**: قد لا يدري العامي بتفاصيل كثيرة مذكورة في النصوص تتعلق بالقيامة، من مثل ما يكون في القيامة هل أول ما يرد الناس يكون أمامهم الصراط أو الميزان؟ هٰذه

مسألة، ثم القنطرة التي يوقف عليها الناس بعد أن يعبروا الصراط قد لا يعرفها ولا يدريها، تفاصيل ما ورد في الأحاديث من نعيم أهل الجنة قد لا يعرفها، تفاصيل ما يكون لأهل النار من العذاب قد لا يعرفه، فهل يلزمه أن يعرف التفاصيل؟ لأ؛ لأنه يطالب بالعلم الإجمالي، هو أن رب العالمين سيبعث من القبور وسيحاسبهم وسيجازيهم، وأن هناك دارين دارًا للمؤمنين يكرمهم بها وهي الجنة، وهناك دار للكفار يعاقبهم فيها وهي النار، أما تفاصيل هٰذه الأشياء فقد تفوت أكثرها على عوام المسلمين، فينجون لا إشكال ينجون؛ لأنهم مطالبون بالعلم الإجمالي.

❁ العلم التفصيلي:

فإنه يكون عند أهل العلم فتجد عنده من تفاصيل ما يتعلق باليوم الآخر ما يمكن أن يتحدث فيه أيامًا متوالية، ويضع فيه المصنفات الطويلة الكبيرة الضخمة، ويتحدث عن تفاصيل ذلك ويبيّن الصواب في المسائل المتعلقة باليوم الآخر، ويرجح الراجح، ويوهن الواهن الضعيف، ويبيّن الباطل عند أهل الباطل ويرده عليه، هٰذا علم تفصيلي، عوام المسلمين لا يطالبون بالعلم التفصيلي؛ وإنما العلم التفصيلي أمر على سبيل الكفاية.

❍ **وهٰذا له نظير في مسائل، حتى مسائل الأحكام**؛ فالمسلم مطالب بأن يعرف كيف يتوضأ، كل مسلم وأن يعرف كيف يصلي، إذا لم يكن عنده مال يزكي منه؛ فإنه لا يطالب بأن يعرف تفاصيل مسائل الزكاة؛ لكن عليه بأن يعتقد أن الله تعالى أوجب الزكاة في الأموال؛ لكن إذا لم يكن من أهل الزكاة؛ فإنه لو جهل أحكام الزكاة؛ كمقادير الأنصبة في الإبل والبقر وفي الغنم وفي النقدين، هي قد تخفى عليه لكنه يعلم أن الله تعالى أوجب الزكاة وأنها ركن من أركان الإسلام، أما تفاصيلها يقول: أنا لا أعلمها، هٰذا لا يضره؛ لأنه عامي ولم تتوجه إليه الأحكام؛ لأنه مع كونه عامي فهو فقيرٌ ليس عنده مال يحول عليه الحول؛ فإذا أغناه الله وصار عنده مال لزمه شرعًا -في هٰذه الحال- لزمه شرعًا أن يعرف تفاصيل أحكام الزكاة

مثلًا في ماله، إن كان من أصحاب الأموال النقدية، أو فيما يتعلق بالإبل إن كان من أصحاب الإبل ونحو ذلك.

❍ **إذًا فالعلم نوعان منه علم تفصيلي؛** وهو لأهل العلم كما قلنا، ومنه علم إجمالي وهو لعامة المسلمين، ثم العلم الذي هو فرض على العين هو المتعلق بعبادة الإنسان: من مثل الوضوء والصلاة ونحوها فهٰذه على الجميع لا يوجد أحد من المكلفين إلا يلزمه أن يعرفها، ثم إذا وصل إلى موضعٍ يتوجه فيه الحكم مثل الزكاة أو كذلك الحج إذا كان لا يستطيع الحج؛ فإنه غير ملزم بمعرفة تفاصيل الحج وقد يمكث سنين لا يحج، ثم يغنيه الله عَزَّوَجَلَّ فيتمكن من الحج يقال: لا تحج إلا عالمًا بأحكام الحج، وليس معنى علمه بأحكام الحج بأن يكون على دراية أهل العلم من تفاصيله؛ لكن تذهب تحج لا تذهب لتحج كما اتفق هكذا تذهب، وإنما تتعلم أو تذهب مع من يعلمك أمور الحج، إذًا العلم على هٰذا التفصيل الذي ذكرناه.

❁ **قال المؤلف:** «معرفة دين الإسلام بالأدلة».

ففيما يتعلق بطلبة العلم ينبغي أن يعرفوا الأمور بأدلتها؛ كما قلنا: العلم معرفة الهدى بدليله، أما فيما يتعلق بعامة المسلمين؛ فإنهم لا يلزمون بأن يعرفوا ويستقصوا أدلة المسائل؛ لأن هٰذا أيضًا لا يتمكنون منه، بعد أن يعرف الإنسان العلم، هو لم يتعلم العلم إلا ليعمل به؛ فيجب عليه أن يعمل بما تعلم، ولم ينفعه علمه إلا إن عمل به، والمحذور في مسألة العمل شيئان:

❍ **المحذور الأول:** أن يعلم ولا يعمل؛ فهٰذا نسال الله العافية يجمع على نفسه حججًا ثم يحاسب بها في القيامة، من علم وعرف الأحكام، واتجهت إليه الأمور اتجاهًا واضحًا في وجوب فعل كذا والكف عن كذا فلم يعمل؛ فإن علمه حجة عليه ووبال عليه نعوذ بالله.

❍ **المحظور الثاني**: أن يكون عند الإنسان حماس ليعمل على غير علم، نحن نقول الواجب الثاني عليه هو أن يعمل بعد ماذا؟! بعد أن يعلم، فيوجد عن بعد الناس حماس وهمة في الانطلاق نحو العمل بلا علم، وهٰذا أيضًا فيه خطورته البالغة.

والصنف الأول الذي يعلم ولا يعمل ورد فيه حديث عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَثَلُ مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ الْمِصْبَاحِ الَّذِي يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»؛ فتجده يوجه الناس، وينبههم، ويعظهم وينتفعون بما يقول، لكنه يحرق نفسه؛ لأن هٰذه كلها حجج عليه -نعوذ بالله-، لهٰذا نهت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا شابًا كان يتردد عليها ويأخذ عنها، نهته لما سألته هل تعمل بما تعلم؟ قال: لا، قالت: لا تكثر من حجج الله عَزَّوَجَلَّ عليك، ما الفائدة من العلم؟! مرادها ما الفائدة من العلم إذا كان الإنسان يتعلم ثم لا يعمل! هٰذا يجمع حججًا؛ لهٰذا ما نسمعه أيها الإخوة في الخطب، في المواعظ ما نسمعه يتلى وهو أعظم في كتاب الله وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هٰذه حجج، إما أن تكون حججًا للعبد، وإما أن تكون حجة عليه؛ ولهٰذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»، ما هنالك أي مجال لأن يوجد شيء ثالث، إما أن يكون القرآن حجة لك إذا عملت به؛ وإما أن يكون حجة عليك إن لم تعمل به.

❁ أنواع الناس في هاتين المرتبتين:

❍ **الصنف الأول**: منهم من علم وعمل، فهٰذا بأكرم المنازل.

❍ **الصنف الثاني**: منهم من لا يعلم ولا يعمل، فهٰذا بأشر المنازل.

❍ **الصنف الثالث**: من عمل بلا علم، يخبط في الأمور، وعنده كما قلنا الحماس والحرص لكن على غير بصيرة، فهو يعمل لكن على غير بصيرة بلا علم.

وقد يظن كثير من الناس أن أمره سهل، وأن اجتهاده ينبغي أن يشكر وهٰذا غير صحيح، لهٰذا جاء عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وعن الحسن البصري أنهم قالوا: «**من عمل بلا علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح**»، ما قالوا سيفسد وسيصلح ولكن قالوا: «كان ما يفسده أكثر

مما سيصلحه»؛ لهٰذا مَنْ تصدر للدعوة أو للإفتاء وللجهاد في سبيل الله أو لوعظ الناس وهو على غير علم بالأحكام التي تتعلق به؛ فإنه سيضر ضررًا بالغًا؛ فيجب أن يكون العمل مربوطًا بالعلم، وأن لا ينطلق الإنسان بالعمل إلا على علم وبصيرة.

❍ **الصنف الرابع**: من علم -عياذًا بالله- ولم يعمل، هٰذا كما قلنا إنما يجمع حجج الله تعالى على نفسه.

❁ المرتبة الثالثة:

إذا أنت علمت وعملت وأصلح الله تعالى من حالك، وستجد فرقًا عظيمًا جدًّا بين حالك حين عملت على علم؛ وبين حالك قبل أن تصل إلى العمل على بصيرة؛ فالواجب عليك أن لا تقتصر على نفسك؛ ولهٰذا يجب عليك أن تدعوا إلى الله لما يجب عليك أن تدعو إلى الله؟ لأنك تدعو على بصيرة تحقق عندك العلم، ثم إنك في خاصة نفسك قد عملت فادعوا غيرك، واحرص على أن ترفع الجهل عن غيرك، كما أكرمك الله بأن رفع الجهل عنك، ولا تجلس هكذا، قد علمت الحق وعملت به، واقتصرت على نفسك، وهٰذا من الأمور المؤسفة في أزمنتنا هٰذه الآن الذي يتخرجون من الكليات الشرعية كثير جدًا ثم تجد عددًا منهم غير قليل لا جدوى منه، فيه ما فيه من الخير والاستقامة والعلوم النافعة عنده، وعنده عمل في خاصة نفسه، مقبل على طاعة ربه، وعلى الكف على ما حرم الله وهو على بصيرة؛ لكن لا ينفع أحدًا هو مقتصر على نفسه وهٰذا غلط؛ لأن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لمن علم لا بُدَّ منها، والأمة بحاجة مع هٰذا الجهل العظيم المستشري الذي صار على حال بلغ نفس ما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كيف بكم إذا لبستكم فتنة يشب فيها الصغير ويهرم عليها الكبير؛ فإذا غيرت -يعني البدعة- قيل: غيِّرت السنة» يجب على من أكرمه الله جَلَّ وَعَلَا بالعلم ومن عليه بأن عمل على بصيرة يجب عليه أن يدعوا، ولا يقتصر على نفسه فالجهل كبير، ومنتشر في الأمة انتشارًا عظيمًا، فالحاجة لأهل العلم بالغة وهي أعظم الحاجات، الأمة أشد ما تحتاج إلى من يبث فيها العلم وينشره ويكون الناس على بصيرة رجالًا ونساءً؛ فالجهل لا

يوصف إذا أردت أن تعرف شدة حاجة الأمة إلى العلم انظر إلى موسم الحج، ما يجمع من هؤلاء الذين أتوا يريدون الحج قد أنفقوا أموالهم وأجهدوا أبدانهم يريدون الحج، انظر إلى الجهل الشديد المخيم فيهم، هٰذا الوضع الماثل أمامك الآن في مليونين أو ثلاثة ملايين هو وضع الأمة وضع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهؤلاء من خيارهم، ممن بذلوا أموالهم، وبذلوا جهودهم حتى وصلوا ومع ذلك تجد فيهم من الجهل شيئًا عظيمًا؛ فما بلك بمن ورائهم، ومن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ أن يسر في هٰذه الأزمنة هٰذا مزيد الحجة في الحقيقة على الناس أن يسر الله تعالى في هٰذه الأزمنة وسائل لإيصال العلم ما كانت موجودة منذ سنوات قريبة، ما يستطيع الإنسان أن يعمل وأن يجتهد وأن يكون عنده نشاط في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، بعض الأحيان وهو في بيته؛ فيحرص على نشر الخير؛ ولكن يحرص أن لا ينشر إلا شيئًا صوابًا، وإذا تردد فلا ينشر شيء بتاتًا، حتى يكون على صواب وعلى بصيرة، وإذا لم يدري يسأل، أما أن ينشر للناس ما وقع في أيديهم في جوالات وفي المواقع كيف ما اتفق هٰذا غلط لا شك قد ينشرون أحاديث مكذوبة، قد ينشرون أحكامًا مغلوطة، قد ينشرون قصصًا خرافية فاسدة؛ فالذي عنده علم وبصيرة هو الذي ينشر، الذي ليس عنده علم يسأل أهل العلم حتى يساهم في الدعوة إلى الله وتكون مساهمته في الدعوة إلى الله على بصيرة.

❁ المرتبة الرابعة:

الصبر على الأذى في الدين، لماذا ذكر الصبر؟ لأن من دعا فلا بُدَّ له من نوع أذى، قد يكبر هٰذا الأذى ويشتد، وقد يكون دون ذلك، لكن الأذى حاصل ولا بد؛ لأن الداعي إلى الحق لا بُدَّ أن يواجهه أهل الباطل، يتفاوت هٰذا في أزمنة، ويتفاوت في أمكنة، ويتفاوت في أحوال؛ لكن لا بُدَّ من الأذى، فعلى الداعي إلى الله أن يصبر، وألا تكون نفسه بالمنزلة المبالغ فيها عنده؛ بحيث إذا ورده أدنى أذى ترك الدعوة إلى الله، وقال: الناس فاسدون مفسدون لا حاجة لدعوتهم، هٰذا غلط، يجب الصبر على الناس والتحمل، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**الذي يصبر على الناس ويخالطهم خير من الذي لا يصبر على الناس**

ولا يخالطهم» من خالط الناس لا بُدَّ أن يؤذوه، ولا بُدَّ أن يجد من ذلك عنتًا وتعبًا ومشقة فليصبر؛ لأنه في مقام ورث فيه الرسل صلى الله عليهم وسلم.

❍ **الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا وهم أعظم من دعا إلى الله؛** فمن ورث الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بُدَّ أن يؤذى كما أوذي الرسل وهم أكرم على الله تعالى منه، وكما أن الله تعالى جعل للرسل من ورث علمهم؛ فإن لأعداء الرسل من ورث منهجهم، الذين عادوا الرسل صلوات الله وسلامه على الرسل، هؤلاء موجودون زمن الرسول، الذين تعلموا العلم الشرعي ورثوا كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَأَوْرَثُوا الْعِلْمَ**»؛ فهم ورِثوا الأنبياء في العلم، فورثة أعداء الرسل موجودون ومستمرون؛ فهم سيعادون حملة إرث الرسل سيعادون أهل العلم؛ ولهٰذا مَعلم كبير من معالم أهل الباطل على امتداد الأزمنة معاداة العلماء، والحط منهم والتنفير منهم، ومن مجالسهم، والطعن في نياتهم، هٰذا معلم من معالم أعداء الرسل، الذين ورثوا هٰذه الخصلة الذميمة؛ فكما كان يذم الرسل ويتهمون، ويطعن في نياتهم ومقاصدهم؛ فإن ورثة الرسل لا بُدَّ أن ينالهم ذلك، ولهٰذا لا بُدَّ من الصبر لا بُدَّ من الصبر على الأذى، ولهٰذا قال لقمان لابنه في وصيته: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان] لما أمره بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر قال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾، لا بُدَّ من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لا بُدَّ لم دعا أن يواجه نوعًا من الأذى هٰذا الأذى هٰذا قد يكثر ويعظم ويشتد وقد يكون دون ذلك، فعليه أن يروض نفسه على هٰذا؛ فهٰذا مما ينبغي أن يستحضر.

❁ **قال المؤلف:** «**والعصر**».

المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل على ما تقدم بهٰذه السورة العظيمة يقول تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١﴾ [العصر] والمراد بالعصر الزمان، والله تعالى يقسم بما شاء وليس للعبد أن يقسم إلا بالله وحده؛ فليس لأحد أن يقسم بليل ولا بنهار ولا بسماء ولا شمس ولا قمر ولا حياة أحد، لا يقسم إلا بالله وحده أو باسم من أسمائه أو بصفة من صفاته.

❁ **قال المؤلف:** «وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ».

كل إنسان، جميع الناس، هٰذا هو وصفهم ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ ففي خيبة وفي خسر إلا من استثناهم الله تعالى بهٰذه الصفات:

❍ **الصفة الأولى**: الإيمان، والمراد به الإيمان بالمعنى الشرعي الذي دلت عليه النصوص أنه قول واعتقاد وعمل؛ فيشمل بذلك قول اللسان واعتقاد القلب وعمل الجوارح.

❁ **قال المؤلف:** « إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ».

قوله: وعملوا الصالحات، هٰذا يدخل فيما تم تعريفه قول واعتقاد وعمل، وتواصوا بشيئين اثنين:

❍ **الشيء الأول**: تواصوا بلزوم الحق والثبات عليه وعدم الحيدة عنه، وتواصوا بالحق.

❍ **الشيء الثاني**: الصبر على الأذية ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وذلك بالصبر وتوصية بعضهم بعضا بهٰذا الحق الذي لزموه وعدم التنازل عنه، والثبات على فعل الأوامر وترك النواهي، وما يترتب على هٰذا من الأذية كما قلنا.

وبذلك يكون هؤلاء هم نقاوة الناس، وهم خيرة عباد الله عَزَّوَجَلَّ في أرضه؛ لأنهم ورثوا منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام والرسل كما هو معلوم أفضل البشر على الإطلاق، فمن سلك مسلكهم وورث إرثهم وعمل على هديهم وسنتهم؛ فلا يرتاب أنه قد صار في خلص عباد الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهٰذا أفضل ما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ هو العلم لمن عمل به، كما قال الإمام أحمد لما سئل عن أفضل الأعمال؟ قال: «**العلم لمن أصلح الله نيته**»، قال يحيى بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل أيهما أفضل الذب عن السنة –أي: الدفاع عن الاعتقاد وعن السنة وعن الإسلام– أو الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**بل الذب عن السنة**»، فقيل له: المجاهد يبذل ماله ويتعب

ويكون الذب عن السنة أعظم من الجهاد؟ قال: «**نعم بكثير**»، أي: أن الفرق كبير جدًا بين الذاب عن السنة والمنافح عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، الراد لشبهات أهل الإلحاد والزيغ والضلال والتنصير والروافض، وشبهات المشركين والمخرفين، والناشر للسنة يكون هٰذا أعظم عند الله تعالى وأرفع بكثير من المجاهد في سبيل، مع أن الجهاد في سبيل الله لا يخفى المقام العظيم الذي جعل الله تعالى لأهله؛ ولهٰذا اختار الشافعي واختار أحمد وعدد من أهل العلم رحمهم الله أن العلم أفضل ما يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ بعد الفرائض، وهٰذا الصحيح إن شاء عَزَّوَجَلَّ لمن أصلح الله نيته وعمل بما تعلم.

❁ **قال المؤلف:** «**قال الشافعي**».

والمراد به الإمام: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، توفي عام سنة خمس ومائتين، وهو تلميذ الإمام مالك، وشيخ الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعا، ذكر النقل عنه هكذا-:

❁ **قال المؤلف:** «**قال الشافعي: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هٰذه السورة لكفتهم**».

أي: أن هٰذه السورة التي قد يستسهل بعض الناس أمرها لو أنه لم ينزل سواها لكانت حجة كافية على الناس؛ لعظم وكبر مدلولات هٰذه الآيات في هٰذه السورة.

ورد عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بلفظٍ آخر رواه البيهقي في مناقب الشافعي وغيره أنه قال: «أكثر الناس في غفلة عن تدبر هٰذه السورة» وكما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لذلك تجد كثيرًا من الناس يقرأ هٰذه السورة بسرعة، ربما قرأ في نفس واحد مع ما فيها من هٰذا التفصيل الكثير في معانيها، وفي مدلولات ما يكون به السلامة من الخسر الذي يلزم الناس جميعًا، إن الإنسان لفي خسر، ما الذي ينجي الناس من هٰذا الخسر هٰذه الأمور الأربعة.

قال المؤلف: «وقال البخاري: باب العلم قبل القول والعمل».

ثم ذكر قول البخاري، وهو الإمام: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب الصحيح المشهور رحمة الله تعالى عليه، ذكر بابًا في كتاب العلم قال فيه: «باب العلم قبل القول والعمل» وهٰذا هو الواجب على المسلمين أن يتعلموا قبل أن يعملوا.

قال المؤلف: «العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]».

فأمر الله تعالى هنا بالعلم ثم أعقبه بالاستغفار، وأصل هٰذه الكلمة وردت عن سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وضمّنها البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه.

❁ **قال المؤلف:** «اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ: الأُولَى:أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]».

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر المسألة الأولى التي يجب أن يتعلمها كل مسلم ومسلمة.

❁ **الأمر الأول:**

أن الله تعالى هو الذي خلقنا سبحانه وبحمده، هو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة] فالله تعالى هو الذي خلقنا، وهو أيضًا الذي رزقنا وأمدنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهٰذه النعم، ورزق الله عَزَّوَجَلَّ للعبد مستديم؛ فما طرفت عين، ولا خطت قدم، ولا أخذ إنسان نفسًا ولا رده، ولا وجدت نعمة من نعم الدين والدنيا إلا من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فرزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للعبد في سائر أحواله مستديم مستمر، فاستحق -سبحانه- أن يعبد وحده، وهو -عز اسمه- من فضله ومنته لم يترك العباد ضائعين مهملين، ولهٰذا قال: «ولم يتركنا هملا» لما خلق الله الخلق لا شك أنه -عز اسمه- خلقهم لحكمة عظيمة بينها بقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، الخلق كيف يهدون؟! جعل الله ﷻ فيهم الفطرة، والفطرة وحدها لا تكفي في معرفة تفاصيل ما أوجب الله تعالى وما نهى عنه؛ ولهٰذا أرسل الله تعالى الرسل؛ ولهٰذا قلا المصنف: «**بل أرسل إلينا رسولا**»، والمرسل إلينا هو حظنا من الرسل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين جميعًا، أرسله الله تبارك وتعالى إلينا.

❍ **والرسول**: هو مَنْ بُعث لأهل العلم كلام في المقصود بالرسول، فمنهم من يقول: إن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ وهٰذا قول مشهور عند كثير من أهل العلم.

والقول الثاني -الذي اختاره شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النبوات» ولعله أقوى-: أن الرسول من بعث إلى قوم مخالفين، والنبي يبعث في قوم مؤمنين؛ فكلاهما يوحى إليه، وكلاهما يبعث، استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ الآية [الحج: ٥٢]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فذكر إرسالًا يعم النوعين»، ذكر أنه يرسل الرسول ويرسل النبي، ولكن الفرق أن الله يرسل الرسول إلى قوم مخالفين، فيجد من العنت والمشقة أشد مما يجد النبي؛ لأن النبي يُرسل إلى قوم مؤمنين، فمن هنا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الرسول من بعث إلى مخالفين، والنبي من يبعث في قوم مؤمنين»، واستدل أيضا بقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة: ٤٤] التوراة أنزلت على موسى، وموسى أرسل كافر وهو فرعون؛ فهو رسول، الذين من بعد موسى من أنبياء بني إسرائيل كانوا يحكمون بالتوراة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ أي: أنهم يحكمون تابعين لرسول قبلهم، فالأنبياء يكونون مبعوثين في مؤمنين، ويكونون عاملين بشرع رسول قبلهم، قال: أما الرسول فضابطه أن يبعث إلى مخالفين.

نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لا شك أنه بعث إلى مخالفين وهو أفضل الرسل جميعًا صلوات الله وسلامه عليه، كما يأتي إن شاء الله تعالى في تفاصيل الكلام في الأصل الثالث.

❍ **لما أرسل الله لنا هٰذا الرسول الكريم**، من أطاع هٰذا الرسول دخل الجنة ومن عصاه دخل النار؛ لأن الرب سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي أرسله فصارت طاعة هٰذا الرسول من طاعة الله، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]؛ فلا درب ولا سبيل إلى الجنة بتاتًا إلا باتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل]؛ فمن أطاع هٰذا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نجا، ومن عصاه هلك كما هلك فرعون وكما هلك أعداء الرسل ممن أبوا طاعته.

❁ **قال المؤلف:** « الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].».

لما كان المعبود بحق هو الله وحده لا سواه، وكان كل معبود سواه تعالى فهو باطل؛ فإن الله لا يمكن أن يرضى بأن يشرك أحد معه تعالى في العبادة، بل هٰذا هو الذنب الأعظم، والجرم الذي لا يغفر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]؛ فالله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته مطلقًا؛ أيًّا كان هٰذا الذي أشرك مع الله.

❁ **قال المؤلف:** « لا ملك مقرب ولا نبي مرسل».

لمَ نص عليهما؟!

لأنه قد يأتي من يقول إن للأنبياء مقامًا عظيمًا وإن الله اصطفاهم، وإن ملائكة الله عليهم الصلاة والسلام جميعا بالمقام العالي وبالمكانة العظيمة عند الله تعالى؛ فقد يحمله ذلك على أن يعظم الأنبياء أو المرسلين تعظيمًا مبالغًا فيه؛ فيقال: يحصل الشرك حتى لو صرفته لنبي أو لملك، قد نص الله تعالى في كتابه على آية ينبغي أن يحفظها طالب العلم؛ لأنها من الآيات ذات المدلول العظيم في جانب التوحيد، وفي بيان ضده وهو الشرك، يقول تعالى في

سورة آل عمران: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران]؛ فبيَّن أن الرسول لا يمكن أن يأمر بأن يعبد حتى الملائكة وحتى الأنبياء، ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ ﴾ ثم قال: ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ ﴾ بيانًا لكون من صرف العبادة للأنبياء؛ فإنه يكفر ويشرك، ومن صرفها أيضًا للملائكة؛ فإنه كذلك يكفر ويشرك، ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ استبعد أن يأمركم النبي المرسل إليكم بأن تشركوا بالله تعالى ولو ملائكته، ولو أنبياء، فأنتم قد أسلمتم ووحدتم فلا يمكن أن يأمركم النبي بالشرك بعد ذلك، ولهٰذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن] قوله هنا: «أحدًا» هٰذه نكرة في سياق النهي، **وعندنا قاعدة**: «النكرة في سياق النهي تفيد العموم»، مثل قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف] أي أحد يستحيل أن يظلم الله تعالى أي أحد، كائنًا ما كان مطلقًا؛ فلا يظلم من خلقه أحدًا أيًّا كان هٰذا المخلوق، قوله هنا: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا ﴾ أي: فلا تعبدوا ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أيًّا كان هٰذا المعبود ملكًا نبيًا صالحًا جنيًا شجرًا حجرًا أيًّا كان؛ فالواجب أن يفرد الله تعالى بالعبادة وأن لا يشرك معه أحد فإن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد كائنا من كان.

❁ **قال المؤلف:** «الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].».

هٰذه المسألة الثالثة العظيمة هي مسألة الولاء والبراء، الذي يطيع الله حقًا، ويطيع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويوحد الله -عز اسمه- بالتوحيد الذي أمر الله به، لا يحل له أن يوالي أعداء الله عَزَّوَجَلَّ، وأعظم أعداء الله هم الكفار، الذين عادوه تبارك وتعالى، واستعانوا بما أنعم به عليهم في شركهم وكفرهم وضلالهم؛ فلا يحل لمن أطاع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولمن وحد الله وأكرمه الله بالسلامة من الكفر أن يوالي هؤلاء الذين هم أبغض الناس إلى الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة] فهم شر عباد الله.

أمر الولاء والبراء حصل فيه خلط كبير جدًا في الأزمنة المتأخرة، وما كان هٰذا الخلط موجودًا عند أهل السنة بتاتًا؛ لأن هٰذه المسألة من المسائل العقدية التي يستدل عليها بالنصوص وهي جلية والحمد لله تعالى واضحة؛ لكن إذا تعومل معها بغير طريقة النصوص وفهم السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ فإن الضلال يقع فيها، عقوبة وجزاءً وفاقًا لمن خرج عن فهم نصوص الكتاب والسنة على غير طريقة السلف.

السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ وأرضاهم لم يعتقدوا فقط، بل اعتقادهم مطبق؛ لأن الله تعالى مكّن لهم في الأرض، فصار تطبيقهم للإسلام جليًّا في واقع أنفسهم وفي الدولة الإسلامية على امتداد التاريخ الذي كان هو موضع الاستدلال والاستشهاد الذي كان وفق إجماع محوطًا بعلم نافع؛ وبأئمة جعل الله تعالى لهم الإمامة في الدين.

تناول الولاء والبراء طائفتان ضلتا عن الحق:

❁ **الطائفة الأولى**: فهم الهمج الرعاع من الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين من عبيد الغرب، من حسالات العلمانيين والليبراليين ممن أرادوا ضرب الولاء والبراء بأسره، ويظن هؤلاء الذين لا يفقهون ولا يعلمون، يظنون أن هٰذه الجبال الشامخة في دين الله يمكن أن يأتي هؤلاء الأقزام السخفاء ويسقطوها.

❍ **الولاء والبراء يستحيل أن يسقطه أحد**، آيات الولاء والبراء أكثر من آيات الصوم، وأكثر من آيات الحج، كثيرة جدًا لا تستطيع أمة بأسرها أن تسقط الولاء والبراء.

الولاء والبراء من أصل دين الله عَزَّوَجَلَّ، فمثاله مثال من يريد أن يجحد الصوم، مستحيل هٰذا الأمر لو أردت أن تخفي آيات الصوم وأحاديث الصوم مستحيل هٰذا الأمر.

الولاء والبراء عقيدة يدين بها المؤمن، فيوالي أهل الإيمان، ويعادي أعداء الله عَزَّوَجَلَّ، ممن أبوا الانصياع لأمر الله تعالى وأمر رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❍ **أما هؤلاء الهمج فإنهم يريدون أن يجعلوا المسألة ذائبة**، لا يكون فرق بين مسلم ونصراني ويهودي وكثيرًا ما يعبّرون بتعبيرات فضفاضة، مثل عبارة كوننا جميعًا من البشر وتضمنا الإنسانية ونحو ذلك من العبارات التي يريدون أن يذيبوا فيها هٰذه العقيدة العظيمة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

❍ **الولاء والبراء جزء عظيم، وركن ركين من الاعتقاد** لا يمكن بحال من الأحوال أن يزحزحه هؤلاء، هٰذا فيما يتعلق بالصنف الأول الذي أراد أن يضرب عقيدة الولاء والبراء.

❁ **الصنف الثاني**: الذي بالغ وجاوز الحد الشرعي والنهج العلمي والأسلوب الذي كان عليه السلف الصالح رَحِمَهُمُٱللَّهُ في التعامل مع أمر الولاء والبراء وفق النصوص، وهدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهدي السلف الصالح رَحِمَهُمُٱللَّهُ.

المؤمن أعظم أهل الأرض إنصافًا، وظل المسلمون منصفين، لا يخفرون بذمة، ولا ينقضون عهدًا، وضربوا في ذلك الأمثلة التي لو أرادها الواحد منا لمضت الساعات الطوال ولم تنتهي، هٰذه المسألة فكون الإنسان يعادي أعداء الله لا يعني أن يظلمهم، الفرق كبير جدًّا بين معاداة أعداء الله عَزَّوَجَلَّ وبين الظلم، الظلم أيها الإخوة!! مثل الزنا، فكما أنه لا يحل أن تزني بمسلمة ولا كافرة، فالظلم من حيث هو لا يحل أن توقعه لا على مسلم، ولا على كافر، ولا على دابة، حتى قال الحسن البصري رحمة الله تعالى في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار] قال: «الأبرار الذي لا يؤذون الذر»، ما الذر؟ النمل الصغار هٰذه، المؤمن لا ضرر منه، وإذا أراد أن يعاقب، أو أراد أن يقاتل، أو أراد أن يكافئ؛ فإن كل ذلك على بصيرة وعلى علم.

❍ **ومن هنا بالغ أناس في فهم موضوع الولاء والبراء مبالغةً شديدة**، فقلصوا الولاء الذي هو لأهل الإسلام على من اشتهوا، وجعلوه خاصًّا بمن يقول بمقولتهم؛ فمن قال بمقولتهم فإنه يوالى، ومن خالفهم ولو مخالفة علمية فإنه يعادى، وهٰذا ابتداع بلا أدنى شك، هٰذا ضربٌ من ضروب البدعة، ونوع من التحزب المقيت الذي نهت عنه النصوص، وأمر الله فيه بالجماعة وهو خارج عن مسلك العلم؛ لأن العلم طرح مسائل وترجيحها وفق أدلة، أما أن تقول: هٰذا هو الصواب وإن لم تقل به عاديتك، فما هٰذا بمنهج السلف بلا أدنى شك، بل هٰذا منهج جهول دال على قلة علم وقلة بصيرة من فعله.

❍ **البراء من الكفار لا يعني بحال من الأحوال أن تُتخطى حدود الله وأحكامه المتعلقة بهم** من مثل حفظ عهودهم ووجوب رعايتها باسم البراءة منهم، فقد كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس تطبيقًا للبراءة من أعداء الله، وكان أصحابه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ من بعده أعظم الناس تطبيقًا للبراءة من أعداء الله، ولكن كان لهم هدي واضح في التعامل مع الكفار.

❁ الكفار نوعان:

❍ **النوع الأول**: المحاربون، وهم الذين ليس بيننا وبينهم أي عهود أو مهادنة؛ فهؤلاء لا عجب أن نغزوهم أو يغزونا، لا عجب أن نهاجمهم أو يهاجمونا؛ لأن الوضع القائم بيننا وبينهم هو وضع الحرب.

❍ **النوع الثاني**: هم من بيننا وبينهم عهد، كالذمة، فعهد الذمة ماذا سمي؟ سمي بذمة الله وذمة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن هٰذا الذي أعطي لهم، أعطي لهم باسم الله عَزَّوَجَلَّ، وأعطي لهم منسوبًا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فمن أخفر هٰذا الأمر المتعلق بأهل الذمة؛ فإنه لا يكون متعديًا على كافر فقط؛ وإنما مخفرًا لعهد الله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا جاء في الحديث العظيم: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**» لم هٰذا التشديد العظيم؟ قد يقول: هو كافر نقول النظر إلى كفره هو نظر الجهول، لكن هٰذا الكافر أعطي عهد الله عَزَّوَجَلَّ؛ فقتلك إياه باسم البراءة منه هٰذا خارج حدود الشرع؛ ولذلك فيه هٰذا الوعيد الشديد الذي لا يُذكر إلا الموبقات العظام، «من قتل معاهدًا وإن كان كافرا» ما صار معاهدًا إلا أنه كافر لو كان مسلمًا ما سمي معاهدًا، «لم يجد رائحة الجنة» -نسأل الله العافية والسلامة-.

❍ **فلا يحملنا الحماس والمبالغة على أن نظلم**؛ لأن كما قلنا الظلم كالزنا لا يحل أن تزني بمسلمة ولا بكافرة، ولا يحل أن تظلم مسلم ولا كافر، ولهٰذا لما جاء حديث معاذ: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**»، في مسند أحمد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وإن كان كافرًا**» أي: لو ظلمت كافرًا؛ ودعا عليك هٰذا الكافر فسيجيب الله دعاء هٰذا الكافر الذي هو عدو له تعالى فيك أنت وإن كنت مسلمًا؛ لأنك ظلمت، فتخطيت حدود الله عَزَّوَجَلَّ بظلمه.

❍ **فالأمة أيها الإخوة!! أمة محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست أمة فوضى، أبعد الأمم على الإطلاق عن الفوضى أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهٰذا بقي أهل الذمة فيها لا يقال: سنين، بقوا قرونًا محوطين بالعهد الذي أعطي لهم، وضرب المسلمون في هٰذا أعظم أنواع الأمثلة

العجيبة في الوفاء بهٰذه العقود، وعدم إخفارها، سواء في شكل أفراد أو في شكل معاهدات بين المسلمين وبين الكفار كما في حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان بين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين الروم عهد، فلما اقترب العهد من نهايته، معاهدة مدة معينة، كأنها مثلًا تنتهي على سبيل المثال الشهر القادم حرك معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجيش قبل نهاية المدة، لم يبدأ بالقتال لكن أراد أن يحرك الجيش؛ بحيث يبغت الروم مباشرة ساعة ينتهي العهد؛ لأن الروم كانوا يقولون بقي عليهم عشرون يومًا فلا يفجأهم إلا مع أول يوم تنتهي فيه المعاهدة وإذا بالمسلمين قد داهموهم فجاء عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قديم الإسلام جدًّا وكان رجلًا مسنًا على دابة يقول: «الله أكبر وفاء لا غدرًا، الله أكبر وفاء لا غدرًا»، فسمعه معاوية فأمر بأن يحضر، ماذا يريد يعني بهٰذه العبارة؟ فقال له: إن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدَّ عُقْدَةً، وَلَا يَحُلَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا**»؛ فرجع معاوية بالجيش كاملًا، رجع من جديد جيش بأكمله، تعرف إقامة جيش ليس بالهين فرجعوا من جديد؛ لأنه لا يحل لمسلم أن يغدر، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يقال هٰذه غدرة فلان بن فلان**» حتى لو غدر بكافر.

❍ **فهٰذه أمة؛ أمة علم وضبط،** قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] والبصيرة لا تكون إلا بالعلم؛ فيجب أن تتعلم هٰذه الأحكام، نبرأ إلى الله من أهل الكفر، نتقرب إلى الله تعالى بعدائهم، نبغضهم في الله عَزَّوَجَلَّ لكن لا نظلمهم، ولا نتعدى؛ لأن التعدي نوع من أنواع مخالفة الشرع، ومحاولة طمس الولاء والبراء نوع من مخالفة طمس الشرع، وهٰذه الأمور أيها الإخوة ينبغي أن يعلم طالب العلم في مسائل الاعتقاد كلها أنها دائمًا يعتورها طرفان باطلان؛ أهل الإفراط من جهة، وأهل التفريط من جهة، في سائر مسائل الاعتقاد، في الصفات وجد المشبهة ووجد المعطلة، في الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ وأرضاهم وجد إفراط وتجني وتعدي الرافضة وسوء مقالتهم بشأن الصحابة، وجد من يغلو في الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ ويدعوهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، في القدر وُجد

من يغلو غلو القدرية ووجد أيضًا من يقابلهم الجبرية، وهكذا سائر المسائل تجد فيها إفراطًا وتفريطًا، فإياك أن تكون من أهل الإفراط أو التفريط؛ لأن معنى ذلك أنك ضال، من سلك المفرطين أو المفرّطين فقد ضل؛ لأن الحق بينهما ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عدلا**»، وبيَّن المفسرون أن من الوسط الذي دلت عليه الآية أن تجد الإنسان لا ينحوا منحى أهل الإفراط، ولا منحى أهل التفريط؛ فلا طريقة الليبراليين الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين، الذين أرادوا أن يطمسوا هٰذه ويخسأون، لا يمكن أن تطمس هٰذه أمور رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يتولى عز اسمه بقاؤها في الأمة، لا يستطيع أن يطمسها أحد كائنا من كان؛ لكنهم لا شك أنهم يشوشون ويسببون إشكالات كثيرة حولها ولا سيما مع الجهال، ولا نتعدى ولا نتجاوز حدود الله؛ ولسنا أغير على دين الله من رب العالمين، ولا من نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من الذين كابدوا وعايشوا أهل الكفر؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والمهاجرين والأنصار رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ممن قاتلوهم وجاهدوا وبيّنوا فرق المحارب عن المعاهد وتعاملوا مع هؤلاء بمعاملة، ومع هؤلاء بمعاملة؛ فلا يحل لأحد أن يأتي إلى مسألة من هٰذه المسائل الشرعية العقدية ويعبث بها وفق هواه؛ وإنما هٰذه مسألة تفهم وفق طريقة السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بلا إفراط وبلا تفريط.

استدل على البراءة من أهل الكفر بالآية العظيمة ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

❍ **من أعظم ما يمكن أن يضعف الإنسان عنده الأب، ثم الابن،** وهكذا الإخوان والعشيرة ذكرهم الله تعالى إذا حادوا الله عَزَّوَجَلَّ وثبتت منهم المحادة لله تعالى؛ فإنهم لا يوالون ولا يحل مودتهم في هٰذه الحالة ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ أي: الذين صنعوا هٰذا الصنيع من المؤمنين ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

❍ **لكن ثمة مسألة كبيرة الأهمية في موضوع الكفار،** ويعاني منها الحقيقة المقيمون هناك في بلاد الكفر معاناة أكثر من معاناة غيرهم، وإن كانت المعاناة عامة وهي أن عددًا غير قليل الله عَزَّوَجَلَّ وحده هو الذي يعلم أعدادهم؛ لكن مما لا شك فيه أنهم أعداد كبيرة جدًّا قد تتجاوز الملايين عدد من أهل الكفر جهلة لا يفقهون، قد بيَّن تعالى في سبب إجارة الكافر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة]، فكثير من الكفار لا يعلمون حقيقة الإسلام؛ فلا شك أن من الواجب الكبير على أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن تقيم الحجة على هؤلاء الكفار؛ فإذا تجلت وتبيّنت لهم حقيقة الإسلام وأبوا، فعند ذلك قد اتضح السبيل وأبوا أن يقروا؛ لكن واقع الحال في كثير من بلاد الكفر وأمر متواتر تواترًا وصل إلى الأرقام القياسية في الأرض، أن عددًا منهم لا يفقه الإسلام، ولا يدريه، ولم يُعرف لشدة تقصير أهل الإسلام أولًا في نشره، ثانيًا لشدة ما يحال بين أولئك الكفار وبين الوصول إلى حقيقة الإسلام؛ ولهٰذا تجد مواقف من إسلامهم في بعض الأحيان بكميات هائلة من البشر لمجرد أن يُعرض عليهم الإسلام أدنى عرض، وفي هٰذا -يعني وقائع عجيبة للغاية- في إسلام أناس بأعدادٍ هائلة إذا أحصوا في العام الواحد وجدوا بالملايين؛ ولهٰذا الإسلام هو الدين الأول في الأرض من جهة الانتشار، لا يوجد دين يجتاح الأرض من جهة من يعتنقونه قبل الإسلام، لا النصرانية ولا اليهودية ولا البوذية ولا أي دين آخر.

❍ **هٰذا ماذا يستدعي؟! يستدعي شدة نشر الإسلام** والحرص على إيصال هٰذه الرسالة العظيمة التي سيسأل الله تعالى عنها هٰذه الأمة، قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف] سوف تُسئل هٰذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] لا بُدَّ أن يبلغ الإسلام؛ فإذا بلغوا وأبوا فلا شك أنهم أهل كفر وأهل عناد؛ لكن الإشكال في تقصير أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من قبل عدد غير قليل من أهلها؛ بحيث لا يعرف الإسلام أصلًا فعند ذلك لو عرفه كثيرٌ من هؤلاء الكفار

لأسلموا وصاروا أخوة لنا، وربما كانوا أعلى مقامًا منا عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ فنحيل تقصيرنا في مثل هٰذه الحال، ونحيل الكلام إلى مجرد بغضهم، بغضهم دين يدان الله عَزَّوَجَلَّ به، البراءة منهم دين لا يمكن أن تزلزل هٰذه المسالة في عقيدة المسلمين؛ لكن إذا كان الواحد منا مقصرًا تقصيرًا عظيمًا في إيصال الإسلام؛ فإن عليه جزءًا من المسؤولية؛ لأن الله تعالى أكرمه بهٰذا الإسلام ومَنَّ عليه من بين ملايين من الخلق بالإسلام؛ فالواجب عليه أن يسعى في نشر الإسلام؛ بحيث إذا عصى الكافر وأبى الإسلام يكون عن عناد، ويتضح بذلك أنه من الهالكين؛ لكن أن يبقى لا يدري بالإسلام، ولا يعرف بتاتًا بشيء هو دين بعث به نبي، وأنزل الله به كتابًا، وللأسف الشديد يقابل كثير من الكفار من قبل عدد من المسلمين ولا يُعرض عليهم الإسلام، ولا يعطى ولا شريطًا بريال واحد عن الإسلام، ولا كتاب صغيرًا بريال واحد عن الإسلام يذهب كثير من الناس لمجرد مصالحهم المادية، تجارة ونحوها، ويعود وربما كان الواحد منهم يتردد على بلاد الكفر بالعشرين وبالثلاثين سنة يتاجر ولم يدعو واحدًا، هٰذا تقصير كبير جدًّا، تقصير كبير؛ ولهٰذا جزء غير قليل من جهل أهل الكفر راجع إلى تقصير عدد من المسلمين، ولا نقول جميع المسلمين لا نجرم المسلمين؛ لأنه لو وقع هٰذا من جميع المسلمين لأثمت الأمة، الأمة ولله الحمد لا يزال فيها من يدعو إلى الله ويصبر ويصابر وينافح؛ لكن لا شك أن حاجة الدعوة من جهة النشر وتوسيع نطاقاتها إلى أهل تلك اللغات، وتلك الأماكن لا شك أنها كبيرة جدًّا؛ فعند ذلك تسلم أعداد غفيرة للغاية، إلى حد أن من يسلم في بعض الأحيان من آثار محاضرة واحدة أكثر من ألف ما معنى هٰذا؟! معنى هٰذا أن لو وسع النطاق لكانت الأعداد بالملايين بالأضعاف الموجودة.

ولهٰذا ينبغي أن يلاحظ لأمر الولاء والبراء أمر مهم للغاية؛ وهو أن التقصير في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ يوجِد نوعًا من المسؤولية على هٰذه الأمة؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وأرضاهم حملوا الإسلام، ولم يقدموا على أمر الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أي شيء، مضت أعمارهم وحياتهم، واستثمروا أموالهم وطاقاتهم كلها في الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة؛ ولهٰذا أسلمت الأمم، الذي يعرف التاريخ الإسلامي يعرف أن ثمة قبائل

بأسرها، قبائل كاملة بأسرها ودولًا بأسرها، وديارات كثيرة بأسرها دخلت في الإسلام جميعًا؛ لكن بعد فضل الله عَزَّوَجَلَّ هناك حرص ودأب كثير من أسلافنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ على نشر الإسلام، أما أن يقع التقصير في أصل نشر الإسلام؛ فذلك يقتضي إعادة النظر في طريقة إيصال هٰذا الدين لهٰذه الأمم التي تهلك بالملايين بالسنين، ولم يصلها الإسلام حتى تكون معادية له أو تكون موالية له.

❍ **ولا نحب أن نذكر أمثلة تفصيلة أو وقائع**؛ لأن المقام لا يقتضي هٰذا لكنها في الحقيقة عجائب تدل على شدة التقصير؛ فنعم يبرأ إلى الله من كل كافر وندين لله عَزَّوَجَلَّ ببغضهم؛ لكن لا نجعل كسلنا في الدعوة إلى الله تعالى مبررًا؛ لأن أولئك الكفار يعني خذ يا أخي الكريم هٰذا الآن الإمام البخاري ما اسمه؟ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه، من هو بردزبه؟ هٰذا جده مجوسي أسلم ولهٰذا انتسب البخاري إلى بني جعف فقيل بن بردزبه الجعفي، أسلم بردزبه فسمى ابنه إبراهيم، إبراهيم سمى ابنه إسماعيل، إسماعيل ولده الإمام البخاري الكبير محمد بن إسماعيل صاحب الصحيح.

❍ **فهؤلاء إذا دعوا نعم إذا تأبوا ولكن أن يجهلوا أصل الإسلام ولا يدروا به**، ويكون هناك حتى تشويش من قبل أعداء الله من أهل الإعلام الإجرامي من أهل الكفر، وفيه تقصير من أمة محمد، وفيه أمثلة سيئة جدًا يعرفها كثير من المسلمين للأسف الشديد عن الإسلام تؤدي إلى تشويه الإسلام، ثم يقال: لا بُدَّ أن نبرأ منهم، نعم نبرأ منهم، بلا أدنى ريب البراءة منهم؛ ولكن إذا قصرنا نحن في إيصال أصل الإسلام لهم فهٰذا لا شك أن علينا تبعته؛ فيجب على المسلم أن يأخذ الأمور متوازنة، وأن لا يفهم مسائل الولاء والبراء كيف ما اتفق، وكما يحلو له وكما يشتهي؛ فإن أصل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا يحجم هٰذا الولاء، لا أقول أوالي من يكون معي من المسلمين، ومن خالفني أعاديه.

الجامع هو طريقة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان عليه فإنه يوالى حتى لو خالفك، أو صار بينك وبينه مواقف شخصية وغير محمودة، فلا تجير أمر الولاء وتصغره ليكون وفق

طائفة أو حزب أو جماعة محدودة؛ إنما من كان على السنة أو على العقيدة السوية -عقيدة السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ- هٰذا يوالى وإن كان في أقاصي الأرض، ومن كان عنده غلط وبدعة فإن كانت بدعته ليست مكفرةً؛ فإنه يوالى بقدر ما عنده من الصواب، ويعادى بقدر ما عنده من الخطأ والضلال؛ وهكذا العصاة يبغضون بقدر ما عندهم من المعصية، ويحبون ويوالون بقدر من عندهم من الإيمان، فيكون عند الإنسان توازن؛ لأن الولاء والبراء على **ثلاث مراتب**:

- **المرتبة الأولى**: البراء العام، وهٰذا من الكفار.
- **المرتبة الثانية**: الولاء المطلق، وهٰذه لأهل الإيمان والثبات على الحق والمنهج السوي.
- **المرتبة الثالثة**: من يوالى من جهة، ويبرئ منه من جهة، كحال العاصي يبغض لما عنده من معصية؛ ولكنه يوالى -العاصي من المسلمين- يوالى بحسب ما عنده من الإسلام والإيمان.

ومن المهم في هٰذا الباب أن ينبه طلاب العلم إلى عدم تلقي مثل هٰذه المسائل عمن هب ودب؛ لأن ثمة مسائل أيها الإخوة في مسائل العقيدة فيها نوع خفاء، تصدّر لها بعض من صنفوا وبعض من تكلموا وبعض من خطبوا، وليسوا من أهل التحقيق، بل كثير من مباحث مسائل العقيدة لا يعرفونها للأسف الشديدة، وخاضوا في المسائل الكبار بعض المسائل ما خطورتها؟ بعض المسائل خطورتها أن فيها جانبًا تطبيقيًا، أي: بعض المسائل فيها جانب تطبيقي على سبيل المثال: مثل الإيمان بالجنة والنار والغيبيات هٰذه يقل أن يكون فيها جانب تطبيقي، لكن مثل الولاء والبراء يكون فيها جانب تطبيقي؛ فإذا خلط فيها أحد قد يستحل دم مسلم، فيقول: يحل قتل هٰذا لماذا؟ لأنه قد يكفره وليس بكافر مثلًا، أو يحل دمه لأمرٍ لا يحل الدم معه وإن كان خطأ؛ فبعض المسائل خطرة جدًّا إذا حصل فيها خلل.

❍ ولهٰذا **يؤكد على طلبة العلم أن يأخذوا هٰذه المسائل عن كبار المشايخ**؛ ولهٰذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم عن أصاغرهم هلكوا»؛ لأن الأصل أن يأخذ العلم عن أهله الكبار ممن هم أكثر رسوخًا في العلم وأقدم تجربة وأبعد عن سرعة الشباب وتعجله؛ فيؤخذ العلم عن الأكابر هٰذا هو الأصل؛ ولا سيما المسائل التي قد يكون فيها شيء من الخلاف والنزاع ترد لأهل العلم، الأصل أن ترد، أما أن تكون المسائل -كما هو حاصل- يخوض فيها من يعرف ومن لا يعرف وكأنها وجهات نظر، بعض مسائل الاعتقاد التي خاض فيها كأنها وجهات نظر ما رأيك؟ وما قولك؟ لا يحل مثل هٰذا، الأمر خطير جدًّا أن يتحدث في مثل هٰذه الأمور على غير بصيرة وعلى غير علم.

❁ **قال المؤلف:** « اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ : يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٥].».

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفس الوضع قال: «**اعلم**»، وقوله: «**اعلم**» وفي الموضع الأول تقال عند المسائل العظيمة المهمة؛ إذا أردت أن تنبه وتلفت نظر طالب العلم، وقد وردت في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]؛ لما ذكر التوحيد ذكر فيه اعلم؛ وهٰكذا كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨] فقولك اعلم تكون في المسائل التي تلفت فيها النظر إلى أهمية الموضوع الذي ستتحدث عنه.

ثم قال: «**أرشدك الله**» بأن تستقيم على الحق أيضًا دعا مرة أخرى، حسن أسلوب مع المتلقي ومع القارئ والسامع.

۞ **قال المؤلف:** «أرشد الله لطاعته أن الحنيفية».

❍ **أصل الحنف**: الحنف هو الميل، ومنه سمي الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأنه كان يريد به حنف أي: ميلان، الحنف عن ماذا؟ الحنف عن الشرك، ولذلك سمي دين إبراهيم بالحنيفية؛ لأنه حنف أي: مال عن طريقة المشركين كلهم ممن يعبدون الأصنام، ممن يعبدون الكواكب، ممن يعبدون أي شيء سوى الله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا سمي بالحنيف؛ لأنه حنف أي: مال عنهم.

❍ **ما الحنيفية التي هي ملة إبراهيم، والملة**: هي الطريقة الدينية التي صار عليها صلوات الله وسلامه عليه، الحنيفية التي هي ملة إبراهيم هي الآتي: «أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين»، أن تفرد الله تعالى بالعبادة.

قال المؤلف: «وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها».

أي: لأجلها خلقهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] أي إن الله ما خلق الخلق إلا ليعبد وحده لا شريك له، ولهٰذا قال: «**ومعنى يعبدون يوحدون**»، وليس المقصود أن يُعبد الله عبادة مع صرف العبادة لغيره؛ لأن هٰذا هو الشرك؛ ولكن المقصود أن يفرد الله بالعبادة، ولهٰذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وأعظم ما أمر الله به التوحيد**»؛ ثم عرف التوحيد بقوله: «**وهو إفراد الله بالعبادة**».

التوحيد يحسن أن يعرف:

التوحيد: من حيث اللغة مصدر للفعل الرباعي (وَحَّدَ يُوحِّدُ تَوحْيدًا)، هٰذا من حيث اللغة، وحّد الشيء إذا جعله مفردًا وحده.

ما التوحيد من حيث العموم التعريف العام للتوحيد؟

هو: إفراد الله بما يخصه.

ما الذي يختص الله به؟

ثلاثة أشياء: الربوبية، والألوهية التي هي عبادته وحده، والأسماء والصفات.

الشيخ هنا لم عرف التوحيد بنوع من أنواعه فقال: «**وأعظم ما أمر به التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة**»؛ لأنه هو الذي كانت فيه الخصلة الكبرى بين الرسل صلى الله عليهم وسلم وبين أعدائهم، ثم هٰذه الخصلة انتقلت فصارت بين ورثة الرسل وبين ورثة أعداء الرسل.

فلذلك التوحيد الذي هو محل النزاع والذي لأجله أرسل الله الرسل، ولأجله أنزل الله الكتب، وصار به الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، ولأجله قامت سوق الجهاد إلى الله؛ هو توحيد العبادة؛ لأن الكفار كانوا مقرين أن الله تعالى ربهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]؛ لكنهم يشركون مع الله تعالى غيره؛ ولهٰذا عرفه بالذي فيه الخصلة وهو «إفراد الله تعالى بالعبادة»؛ فهٰذا هو الذي كان يأبى المشركون أن يبذلوه؛ ولهٰذا

أعظم أمر وأجل ما يصرف فيه الهمة هو التوحيد؛ ولهٰذا بقي نوح صلوات الله وسلامه عليه ألف سنة إلا خمسين عامًا يقرر التوحيد، ودعوته ودعوة جميع الرسل بيَّنها الله تعالى مفصلًا ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، هٰذه دعوتهم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى في جميع الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] **والطاغوت**: في الآية هنا هو: المعبود من دون الله إذا كان راضيًا؛ فهٰذه هي حقيقة دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ فهي مسالة يتفق فيها جميع الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم، بأن يوحد الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الذي ينبغي أن تنصرف الهمة الكبرى من قِبَلِ الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ فيها؛ لأن أعظم أمْرٍ أمرَ الله به هو التوحيد وكل أوامر الله عز فإنها تأتي بعده، كما في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن فقال: « **إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إليه شهادة أن لا إلٰه إلا الله**».

ولهٰذا كان علم العقيدة أشرف العلوم على الإطلاق وأعظمها؛ لأنه هو الذي يبتنى عليه كل شيء، وهو الفقه الأكبر، وأصول الدين العظمى في علم العقيدة.

❍ **ولهٰذا يا طالب العلم لا تستسهل أمر العقيدة**، واستسهل الصعب في تعلمها؛ فإن حاجة الأمة اليوم إلى تعلم العقيدة ردًا على أهل الإلحاد والفجور وأهل الشبهات والضلال والروافض والمخرفين والمنصرين، الحاجة إلى هٰذا كبيرة جدًا.

والحقيقة هو أصل دعوة الرسل، أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هو هٰذا التوحيد العظيم.

❍ **لما كان أعظم ما أمر الله به، وأعظم ما تنصرف الهمم إليه هو التوحيد**؛ عرف بذلك أعظم ما نهى الله عنه؛ ولهٰذا قال: «**وأعظم ما نهى عنه الشرك**»، ما الشرك؟ التوحيد عموما عرفناه بأنه: إفراد الله بما يختص به، الشرك من حيث العموم هو: جعل شريك مع الله فيما يختص به، ما الذي يختص به سواء في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات، بم عرفه هنا؟ قال: «**وهو دعوة غيره معه**»؛ لأن هٰذا هو أكثر وأغلب الشرك؛ لأن المشركين كما تقدم يقرون لله بالربوبية ما الشرك الذي عظم وقوعهم فيه؟ أن يدعو غير الله عَزَّوَجَلَّ ويعبدوا غير الله تعالى مع الله؛ ولذلك سمي بالشرك؛ لأن التوحيد هو الإفراد، إفراد الله بما يختص به، وإفراد الله بالعبادة، الشرك أن يجعل مع الله غيره، سواء كان واحدًا أو أكثر، فمن عبد مع الله عَزَّوَجَلَّ واحدًا أو أكثر فإنه من المشركين.

❍ **ولهٰذا أعظم ما ينهى عنه وتنصرف الهمم إلى النهي عنه هو أعظم ما تورطت به الناس** في هٰذه الأزمنة، وهو أكبر أسباب التخلف والانحطاط والضعف والمهانة هو الشرك؛ إذا انتشر في الأمة فلا شك أن ذلك يؤدي إلى أن تهون على الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تضعف الأمة وأن تفرق شملها -نعوذ بالله من ذلك-.

❁ **قال المؤلف:** «**قَوْلُهُ تَعَالَى** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٥]».

واستدل بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٧]؛ لاحظوا الآية مرة أخرى، عندنا هنا نكرة في سياق النهي مثلما قال: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن] أحدًا نكرة هنا قال: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ﴾ «شيئًا» نكرة، نكرة في سياق النهي فتعم، ولا تشركوا به شيئًا أيًّا كان هٰذا الشيء من ملائكة من أنبياء صالحين من جن، من أحجار، من أشجار أيًّا ما كان.

❁ **قال المؤلف:** « فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].».

❁ **قال المؤلف:** «فإذا قيل لك ما الأصول؟».

❍ **الأصول**: جمع الأصل، والأصل هو ما يبنى عليه غيره، مثل أصل الشجرة، أصل الشجرة تتفرع منها الأغصان، مثل أصل الجدار هو أساسه لا يمكن أن يقوم عليه البناء في الأعلى إلا إذا كان له أساس؛ إذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ لاحظ أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ راعى هنا أسلوب السؤال في أول الكتاب يقول: «**اعلم أرشدك الله**»، «**اعلم رحمك الله**» هنا الآن -وهٰذه طريقة من طرق التعليم- أن يلقى التعليم بطريق السؤال، ما الأصول الثلاثة؟ إذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان

معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأتي بإذن الله تعالى تفاصيل هٰذه الأشياء لاحقًا إن شاء الله تعالى.

۞ قال المؤلف: «معرفة العبد ربه».

يكون من خلال النصوص كما قلنا؛ فتعرف ربك تعالى بما عرف به نفسه، وبما عرف رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعرف دينك؛ فالدين يؤخذ من النصوص فتتعرف على ما جاء عن الله أيضًا وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذلك تعرف نبيك محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكون لك علم لا بُدَّ منه بمعرفة هٰذا النبي الكريم الذي رفع الله تعالى قدره، وجعل له عليك بعده تعالى جعل له المنة بأن أنقذنا الله به بالهداية من الضلال؛ فلا يليق بالمسلم أن يكون جاهلًا باسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا، أو بمعلومات مهمة رئيسة كبيرة لا ينبغي أن يكون جاهلًا بها، فلهٰذا لقن -رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر الرسالة- لقن جملة من الأمور ينبغي أن لا تعزب عن المسلم في التعريف بنبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأتي إن شاء الله الكلام عليها.

يقول أيضًا بطريق السؤال: «**فإذا قيل لك من ربك؟**» أي: من هو ربك الذي خلقك وأوجدك وأكرمك تعالى بهٰذه النعم؟ «**فقل: ربي الله الذي رباني**».

❍ **التربية**: هي الرعاية بأن يقوم المربي برعاية من يربيه؛ فكأنه يرى رَحِمَهُ اللَّهُ أن الرب مأخوذ من التربية؛ لأنه وقد رباهم بنعمه، قال: رباهم بنعمه، فقل ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو معبودي ليس لي معبود سواه، ما دام هو الذي خلقني من العدم، وخلق الجميع وهو رب كل أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يصلح أن أعبد غيره؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] أي: أنه تعالى خلقكم من العدم؛ فهو ربكم فليس من المناسب بتاتًا أن تعبدوا أحدًا سواه، من ربك؟ الله، من الذي خلقك؟ الله، من سواه الله هم مخلوقون خلقهم الله فكيف يا عبد تجعل العبادة لعبد مثلك، مع أن هٰذا العبد قد خلقه الله تعالى الذي خلقك، فالواجب على جميع العبيد أن يفردوا ربهم

تعالى بالعبادة؛ ولهٰذا قال: «**والدليل قوله تعالى**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [**الفاتحة**].».

ما المراد بالعالم؟! يقول: كل ما سوى الله عالم، ودل على هٰذا جواب موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]؛ فكل ما سوى الله فإنه عالم من الملائكة، من الجن، من الإنس، من جميع المخلوقات فإنه عالم، وهو سبحانه رب لهٰذا العالم كله؛ فكل ما سوى الله فهو عالم، يقول: وأنا واحد من ذلك العالم، والله يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فهو رب هٰذا العالم كله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنا أفرده وحده بالعبادة.

❁ **قال المؤلف**: «**فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟**».

بأي شيء عرفت الله عَزَّوَجَلَّ؟ فقل: عرفته بهٰذه الآيات التي نصبها.

❍ **والآيات**: هي العلامات الدالة على من خلقها سبحانه وأوجدها، «**فقل بآياته ومخلوقاته**» ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] فجعلها الله تعالى آيات، ومن مخلوقاته السَّمٰوات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما، ثم استدل بقوله تبارك وتعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ لأن هناك من كان يسجد للشمس والقمر فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾؛ فكيف تسجد للشمس والقمر وهي مخلوقة، قد خلقها الله عَزَّوَجَلَّ، إذًا اسجد لمن خلقها ومن خلقك ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وهكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ الآية [الأعراف: ٥٤].

نقف الآن لأن في يوم الجمعة كما تعلمون، وهي ساعة ينبغي أن لا يخليها المسلم من دعاء؛ لأن في هٰذه الساعة في هٰذا اليوم ساعة لا يدعو فيها مؤمن بشيء من خيري الدنيا والآخرة إلا تقبل الله عَزَّوَجَلَّ، فيحرص الإخوة على الدعاء وعلى أيضًا الأذكار المسائية، وإن شاء الله تعالى نعود بعد الصلاة إن شاء الله تعالى.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1].

(١) نهاية المجلس الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

۞ **قال المؤلف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]».

بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الموضع جملة من المسائل:

منها معنى الرب.

الرب: هو الخالق المالك المدبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهنا ذكر أن الرب هو المعبود، ومراده: أنه هو الذي يستحق أن يعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإلا فقد يُتخذ غير الله ربًّا، لكن لا يستحق العبادة، ولهٰذا قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا ﴾ [التوبة: ٣١]، فهٰذا الاتخاذ للأحبار والرهبان أربابًا لا شك أنه باطل، وإنما الرب المستحق للعبادة هو الله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا أتبعه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١].

قال المؤلف: «﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾».

صفة كاشفة، فيها تعليل لما سبق.

قال المؤلف: «﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾».

لماذا؟ اعبدوه؛ لأنه ربكم، وهو الذي خلقكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المؤلف: «﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾».

أي: خلق الذين من قبلكم.

قال المؤلف: «﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾».

أي: لأجل أن تتقوا، ثم بيَّن سبحانه عظمة ما صنع عز اسمه: بأن جعل الأرض فراشًا، وجعل السماء بناءًا، وأنزل من السماء هٰذا المطر بإذنه تعالى، فأخرج به عز اسمه هٰذه الثمرات.

قال المؤلف: «﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾».

الند: هو النظير والمثيل؛ أي: لا تجعلوا لله عَزَّوَجَلَّ أمثالًا ونظراء، تجعلونهم مع الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المؤلف:** «﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾».

وأنتم تعلمون أنه تعالى لا ند له.

❁ واتخاذ الند على نوعين:

❍ **النوع الأول**: تارة يكون اتخاذ الند موجبًا الشرك الكبر؛ كأن يجعل مع الله ندًّا يعبده كما يعبد الله، ويدعوه، ويذبح له.

❍ **النوع الثاني**: اتخاذ للند دون ذلك؛ وهو من الشرك الأصغر، ومنه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لمن قال: ما شاء الله وشئت-: «**أَجَعَلْتَ لِلَّهِ نِدًّا**»، فاتخاذه هنا للند لا شك أنه أصغر، فنهى تعالى أن يجعل معه ندٌّ؛ لأن الله لا ندَّ له، ولأن الخالق المستحق للعبادة هو الله وحده، فهو الرب الذي أنشأ الناس من العدم، وهو الذي خلقهم، فهم المستحق لأن يعبد، ولهٰذا أتبعه بقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخالق لهٰذه الأشياء هو الذي يستحق أن يعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❍ **ثم ذكر أنواع العبادة**، العبادة هي التي لأجلها خلق الله تعالى الجن والإنس، وأصلها: الخضوع والتذلل، وتكون -ما ذكر شيخ الإسلام- بأشياء ظاهرة، وبأشياء باطنة، من أنواع مما يتقرب به العبد إلى ربه تعالى، فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، فثمة عبادات ظاهرة يتقرب بها إلى الله؛ مثل: الصلاة، ومثل: الحج، هٰذه ظاهرة، وثمة عبادة باطنة؛ كالخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، والمحبة، والرجاء، ونحو ذلك، فهٰذه باطنة في القلب، لا يعلم بها إلا الله عَزَّوَجَلَّ، يجب أن يُفرد الله تعالى بما هو خاص به من هٰذه العبادات، ويأتي لها بإذن الله تعالى تفصيل.

❁ **قال المؤلف:** «الإسلام».

ويأتي إن شاء الله تعريفه.

❁ **قال المؤلف:** «والإيمان».

وتقدم تعريفه.

❁ **قال المؤلف:** « والإحسان».

بيَّنه جبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: بأنه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ بأن يستحضر المؤمن مراقبة الله تبارك وتعالى له، فيعبد الله عَزَّوَجَلَّ كأنه يرى الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا كان من المحال أن تراه في الدنيا؛ فاستحضر أن الله تعالى هو الذي يراك ويطلع عليك.

❁ **قال المؤلف:** «ومنه الدعاء».

فبدأ به؛ والدعاء هو أكثر ما يقع فيه الشرك، يقع فيه شرك المشركين، كثيرًا ما يدعون غير الله عَزَّوَجَلَّ، ولما كان الدعاء من أعظم أنواع العبادات؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»؛ أي: أن معظم الحج عرفة، فمن أدرك عرفة أدرك الحج، لكن من فاتته عرفه؛ فاته الحج.

فقوله: الدعاء هو العبادة أي: أنه أعظم العبادة، ثمة عبادات أخرى غير الدعاء، لكن الدعاء هو أعظم العبادات، ولهٰذا جاء عن أنس أنه قيل له: الدعاء نصف العبادة؟ قال: «هو العبادة كلها»، فالدعاء شأنه عظيم، فصرفه لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ بأن يطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله؛ لا شك أن هٰذا من الشرك الأكبر؛ كأن يطلب هداية قلبه، أو صلاح ذريته من أحد غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن هٰذا شرك أكبر؛ لأن مثل هٰذه الأمور لا يقدر عليها إلا الله تعالى.

❁ **قال المؤلف:** «الخوف».

بأن يخاف الله عَزَّوَجَلَّ، وله الحقيقة هٰذه المسائل فيها تفاصيل، قد يطول الكلام بها، لكن المقام -كما قلنا- مقام إيجاز، وإلا الخوف منه خوف عادي، هٰذا إذا خافه العبد فإنه لا يضره، ومنه ما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا﴾ [القصص: ٢٠]، هٰذا خوف عادي، لا

يتقرب إلى الله ويتعبد لهؤلاء الملأ، وإنما هٰذا أمر عادي، كما يخاف الإنسان من السباع، ويخاف من بعض الأشياء المُضرة، فهٰذا الخوف خوف عادي، ولا يقال: إنه لا يجوز أن تخاف غير الله على هٰذا النوع من الخوف، وإنما المقصود خوف العبادة.

❍ **وثمة خوف عظيم**: وهو خوف السر؛ بأن يخاف الله في سره، وضبطه صاحب تيسير العزيز الحميد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بأنه أن تخاف من غير الله أن يصيبك بمكروه بمشيئته وقدرته، ولو لم يباشره، بأن تخاف من غير الله تعالى أن يوصل إليك -بمجرد أن يشاء- الضر إليك ولو لم يباشر سببًا يضرك به؛ فهٰذا لا شك أنه لا يحل أن يُخاف إلا من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هٰذا تصريف، فمن اعتقده في غير الله تعالى فإنه يكفر.

❁ **قال المؤلف: «الرجاء».**

والرجاء أيضا على أنواع:

❍ **النوع الأول**: رجاء جائز: وهو أن ترجو من غير الله ما يملكه ويقدر عليه.

❍ **النوع الثاني**: نوع إذا رُجي من غير الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإن من رجاه فإنه يشرك ويخرج من الملة؛ كأن ترجو من غير الله عَزَّوَجَلَّ أمرًا لا يملكه إلا الله.

❁ **قال المؤلف: «التوكل».**

تفويض الأمر إلى الله؛ أن يعتمد بقلبه على الله، ضابط التوكل: اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ، فالقلب يجب أن ينصرف إلى الله تعالى، ولا يعني ذلك ترك اتخاذ الأسباب، الأسباب تتخذ، ولا بُدَّ منها، لكن الأسباب في الجوارح؛ تسعى برجليك، تعمل وتباشر الأمر بيديك، تأكل الدواء، تستدفئ من البرد، هٰذه كلها أسباب، لكن القلب مربوط بالله تبارك وتعالى، فيجب أن يربط القلب بالله وحده.

❁ **قال المؤلف:** «وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ».

فالرغبة بينها وبين الرجاء شيء من الدقة، وهكذا الخوف، والرهبة، والخشوع، والخشية، وهكذا ما ذكر بينها أشياء؛ أي: من التفاصيل، ذكر هٰذه التفاصيل الشيخ حافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «معارج القبول»، لمن أراد التوسع فيها، وذكروا أن الخشية أشد من الخوف.

❁ **قال المؤلف:** «وَالإِنَابَةُ».

بأن ينيب؛ أي: أن يرجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم ذكر ثلاثة أشياء:

❁ **قال المؤلف:** «وَالاسْتِعَانَةُ».

هي طلب المعونة.

❁ **قال المؤلف:** «وَالاسْتِعَاذَةُ».

هي طلب أن يعاذ من الشر.

❁ **قال المؤلف:** «وَالاسْتِغَاثَةُ».

هي طلب الغوث في أمر يكون فيه كرب للعبد، **فهٰذه أيضا على نوعين:**

❍ **النوع الأول**: نوع خاص بالله عَزَّوَجَلَّ لا يجوز أن يطلب من غيره؛ وهو أن يستعيذ، أو يستغيث، أو يستعين بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله، فهنا يقع الشرك.

❍ **النوع الثاني**: إذا استعان، أو استعاذ، أو استغاث بغير الله في أمر يقدر عليه العبد؛ فلا بأس، ومنه قوله تعالى عن موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، فهٰذه الاستغاثة في أمر يقدر عليه، وكما يستغيث الإنسان –مثلا– بجيرانه لو وجد حريق، فصار يستغيث بجيرانه ليطفئوا النار، **هٰذا النوع يجوز بشروط ثلاثة:**

❁ أن يكون المستغاث به حيًّا، حاضرًا، قادرًا.

❍ **الشرط الأول**: أن يكون المستعاذ، أو المستغاث، أو المستعان به حيًّا، فلا يكون ميتًا، فالميت لا يستطيع أن ينفع، فلو دعا ميتا؛ لكان كافرا بذلك، أو استغاث، أو استعاذ به.

❍ **الشرط الثاني**: أن يكون هٰذا الحي حاضرا، فإذا كان حيًّا لكنه في موضع ناءٍ بعيد عنه؛ كيف تستغيث به، أو تستعيذ به، لا يستطيع أن يصنع لك شيئًا؟!!

❍ **الشرط الثالث**: أن يكون قادرًا، فلو كان حيًّا حاضرًا، ولكنه طفل صغير في مهده لا يستطيع أن يعينك، فإنه غير قادر.

فإذا اجتمع أنه حي حاضر قادر؛ صحت الاستعاذة، والاستغاثة، والاستعانة به؛ لأنه في أمر يملكه، أما إذا وقع هٰذا في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فإن ذلك من الشرك.

❁ قال المؤلف: «وَالذَّبْحُ».

بأن يتقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ بذبيحة، فهٰذه من العبادات التي يجب أن تصرف لله تعالى، هٰذه الأنواع من العبادات الأصل أنها لله تعالى، فالخشوع لله، الخشية من الله، الإنابة إليه، الرهبة، التوكل عليه، الرجاء، الخوف، الرغبة، الاستعانة، والاستغاثة، والاستعاذة، الأصل أنها بالله عَزَّوَجَلَّ، والذبح الأصل أنه يتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولهٰذا يجب أن يقصد بذبحه الله تعالى، وأن يسمي اسم الله على ما ذبح، **بأن يجتمع الأمران**:

❍ **الأمر الأول**: أن يهل؛ بمعنى: أن يرفع الصوت باسم الله تعالى.

❍ **الأمر الثاني**: أن يقصد بذبحه التقرب إلى الله تعالى؛ كما يقع في الأضاحي، ونحو هذا.

❍ **النوع الثاني من الذبح**: الذبح العادي؛ كأن يذبح ليطعم ضيفًا، أو ليطعم أهله اللحم؛ فهٰذا مما يجب أن يذكر عليه اسم الله، وإن كان مقصده أن يأكله، أو يطعمه ضيفه، فهٰذا نوع عادي.

❁ **قال المؤلف:** «والمحبة».

ومنها المحبة أيضا، منها ما ينقسم إلى قسمين:

❍ **القسم الأول**: المحبة العادية كمحبة الإنسان مثلا، بعض المآكل، أو المشارب، أو بعض الأجواء، أو نحوها، فهٰذا عادي، لا يقال: إنه أشرك بالله بأن أحب غير الله، هٰذه محبة عادية لا تدخل في هذا، وإنما تذم لو أنها صارت سببًا بأن صرفته عما أوجب الله، أما مجرد محبته لهٰذه الأمور، كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب الحلواء والعسل، وكان يحب الدباء، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هٰذه أشياء عادية.

❍ **القسم الثاني**: المحبة العبادية، ما ضابط هذه المحبة بأن يقال: لا يجوز أن تصرف هٰذه المحبة إلا لله؟ ضابطها: أن تكون بكمال الخضوع ونهاية الذل، كمال الخضوع لله عَزَّوَجَلَّ الذي أحببته، ونهاية التذلل له عز اسمه، هنا تكون محبة عبادية، فلو صرفها لغير الله لأشرك.

❁ **قال المؤلف:** «وَالنَّذْرُ».

أدخل النذر مع أن الأصل أن النذر منهي عنه؛ لأنه كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**»، وكثيرا ما ينذر الإنسان بأن يقول: لله عليَّ إن شفاني الله من هذا المرض مثلا أن أصوم يومًا وأفطر يومًا مثلا، ثم بعد مدة يعجز، ويبدأ يسأل: هل لي من مناص، أنا صرت أعجز عن أن أواصل الصوم، ونحو ذلك، على ما نذرت، الأصل أن مَنْ نذر أن يطيع الله كما في الحديث: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ**».

❍ **والنذر قالوا**: إنه باب من العلم نادر، هو منهي عنه ابتداءً، فإذا عقده الإنسان حُمد على الوفاء به، ولهٰذا ذكر الله تعالى الوفاء بالنذر في صفات أهل الجنة: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: ٧]، لكن لِمَ نهي عنه؟ رحمة بالإنسان، إذا أردت أن تصوم

يومًا وتفطر يومًا ما منعك أحد، لكن لا تجعله على سبيل اللزوم؛ لأن النذر ينقل الشيء المستحب إلى الوجوب، فصومك يومًا وفطرك يومًا، أو صدقتك بألف ريال؛ هٰذا مستحب، فإذا قلت: لله عليَّ أن أتصدق بألف؛ وجب عليك، أو قلت: لله عليَّ أن أصوم يومًا وأفطر يومًا؛ وجب عليك، مع أن أصلها مستحب، لهٰذا قالوا: النذر: هو أن يلزم المكلف نفسه بشيء لا يجب عليه بأصل الشرع، لا يجب عليك بأصل الشرع أن تصوم يومًا وتفطر يومًا، لكن لما جعلته على هٰذا النحو بالنذر؛ وجب عليك.

فالنذر الأصل هو على ما ذكرنا من النهي عنه، لا شك أن الناذر إنما ينذر لما قام بقلبه من قدرة الله تعالى عز اسمه على تحقيق ما نذر العبد فيه، ولهٰذا لا شك أن هٰذا الأمر الذي يقوم بالعبد أنه خاص بالله، فلو نذر لغير الله على هٰذا النحو؛ لكان مشركًا.

❁ **قال المؤلف:** «وَالدَّلِيلُ».

أي: على وجوب أن تكون الدعوة لله وحده.

❁ **قال المؤلف:** «قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]».

فلا يحل أن يدعى مع الله تعالى أي أحد، لاحظ هنا النهي مرة أخرى؛ نكرة في سياق النهي: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، مر قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، أي: حتى يشمل، ولا يصرف الدعاء لأي أحد كائنًا مَنْ كان.

❁ **قال المؤلف:** «فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ».

○ **هٰذه عندنا قاعدة**: أن صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى أنه شرك، يكفر به العبد ويخرج من الملة، فمن ذبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ -ذبح التعبد- يكون مشركًا، من دعا غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ يكون مشركًا، مَنْ استغاث، مَنْ استعان، مَنْ استعاذ، مَنْ رجا؛ قاعدة، إذا كان في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فإنه يقع ويتحقق الشرك -عياذًا بالله-، والشرك هنا أكبر، لهٰذا قال: «**مشرك كافر**»؛ أي: يخرج به من الملة؛ لأن العبادة حق الله وحده، فإذا

جعلها لغير الله وقع في الشرك، وخرج من الملة، وذلك هو الظلم الأعظم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣].

❁ **قال المؤلف:** «﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]».

فجعل دعوته لغير الله تعالى كفرًا.

❁ **قال المؤلف:** «وَفِي الْحَدِيثِ: الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ».

الحديث بهٰذا اللفظ من طريق ابن لهيعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو من حيث الثقة ثقة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان من قضاة المسلمين الموثوقة، لكن احترقت كتبه، فحدَّث من حفظه فصار عنده شيء من الأوهام، لكن هٰذا الحديث يشهد له الحديث الصحيح الآخر الذي في السنن: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، فقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**» ثابت، هنا: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةُ**»، يشهد له الحديث الثابت «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وهٰذا يدل على عظم شأن العبادة.

❁ **قال المؤلف:** «﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]».

أول الآية في ذكر الدعاء، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الدعاء عبادة؛ لعظم شأن الدعاء، فأطلق على الدعاء العبادة، وهٰذا كثير في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومنه قول إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم: ٤٨]، بعدها قال: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ [مريم: ٤٩]، ما قال: وما يدعون؛ لأن المقصود بقوله: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ ٤٨﴾ [مريم: ٤٨]، أي: ما تعبدون، فكثيرا ما يطلق على العبادة الدعاء؛ لعظم شأن الدعاء، فمن صرف الدعاء الذي لا يصرف إلا لله لغير الله؛ فقد أشرك، ولهٰذا قال تعالى هنا:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وأمر الله تعالى بدعائه، والإلحاح في الدعاء مشروع للعبد والإكثار، وأن لا يمل، وحتى لو واصل الدعاء سنوات من عمره، يواصل ويلح على الكريم المنان، وفي كل مرة يدعو يرفعه الله تعالى بدعوته، ويقترب بإذن الله تعالى من سؤله الذي سأله، وإن لم يجبه الله تعالى فإنه لا يخلو من إحدى ثلاث:

- **الأولى**: إما أن يصرف الله تعالى عنه من السوء مثل ما دعا.
- **الثانية**: أو أن يستجيب الله له.
- **الثالثة**: أو أن يدخر له تبارك وتعالى الأمر في الآخرة، فيجده أفقر ما كان إليه؛ لأن الداعي لا يعدم خيرًا؛ إما أن تقبل دعوته، وإما أن يصرف عنه شر لولا أن الله سخره يدعو لوقع هٰذا الشر، الدعوة ما تحققت، لكن كان ثمة شر سيصيبه فلأجل لأنه دعا على هٰذا النحو صرف الله عنه الشر، أو أن يدخر الله تعالى له دعوته في الآخرة، حيث فقره الشديد، وحاجته العظيمة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، الذي سيستكبر عن عبادة الله مع ضعفه، وشدة حاجة هٰذا العبد، ومع ذلك يستكبر، ويأبى أن يدعو الله عَزَّوَجَلَّ؛ سيدخل جهنم صاغرًا.

قال المؤلف: «وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]».

مثل ما قلنا: الخوف: ذعر يصيب الإنسان، وينتابه من أمر، والرجاء: طمع، يطمع الإنسان في أمر أن يتحقق له، فالخوف الذي هو خاص بالله عَزَّوَجَلَّ لا يحل أن يُخاف إلا منه وحده لا شريك له، ولهٰذا نهى الله تعالى أن يُخاف أهل الشرك؛ فقال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخفوكم أوليائه، هٰذا المعنى، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، أما الرجاء فالدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ﴾ [الكهف: ١١٠]، الذي يرجو لقاء الله، والإعداد للقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يترك عنه الأماني، ويترك عنه الأوهام والخيالات، ليتكل على الله وليعمل، فإنه لا ينجيه بعد رحمة الله تعالى إلا عمله، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ شرطا قبول العبادة في هٰذه الآية: الإخلاص، ومتابعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾؛ دليل المتابعة؛ لأنه لا يكون العمل صالحا إلا إذا تابع فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، هٰذا شرط الإخلاص.

ولهٰذا قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ لما ذكر معنى الآية: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ قال: أصوبه وأخلصه، قيل له: فما أصوبه وأخلصه؟ قال: إن العمل إذا كان صوابًا –أي: على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فإنه لا يقبل إلا إذا كان خالصًا لله، وإذا كان خالصًا ولم يكن على طريقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يقبل؛ لأنه –وإن وأخلص القصد– لم ينهج نهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيُرد عليه، قال: ولا يقبل إلا إذا كان صوابًا خالصًا؛ فلا يقبل العمل إلا بهذين الشرطين: إخلاص القصد لله تعالى، وأن يكون العامل على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمل؛ لا هكذا يخبط، ويلبط، لا يدري بما فيه، ولهٰذا من أخطر ما يكون على الإنسان أن يدخل في الجهاد في سبيل الله وهو لا يعرف أحكامه، يدخل في الدعوة إلى الله وهو لا يعرف أمر الدعوة إلى الله، يدخل في الوعظ، يدخل في الإفتاء وهو لا يعرف، هنا يضر نفسه ضررًا بالغًا، ولا يقال: إنه اجتهد، يقال: هو آثم، والله تعالى سائله؛ لأن هٰذه الأمة أمة تمضي على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، كيف يدخل الإنسان في مجال وهو لا يعرف أحكامه؟! من العجائب؛ يقتحم مثلا باب الجهاد في سبيل الله وهو لا يعرف أحكام

الجهاد، لا بُدَّ أن تعرف أحكام الجهاد في سبيل الله؛ لأن أحكام الجهاد نوازل كبيرة جدًّا تحتاج إلى أن تكون عالمًا بها، أو تكون على بصيرة؛ بأن تجاهد مع من يعلم، ثمة وقائع كبيرة جدًّا تقع في الجهاد في سبيل الله؛ منها: حقن دماء، ومنها: إهراق دماء، ومنها: الحكم بمداهمة في موضع معين قد يترتب عليه قتل أناس من المسلمين، أو نحو ذلك، لا بُدَّ أن تكون هناك الأحكام هٰذه موجودة، وهي -بحمد الله- موجودة عند أهل العلم، فتحتاج إلى أهل العلم، ما تحتاج مثلا إنسانا طيبَ القلب، عنده حماس وحب للأمة، وحب لأن يرفع الله عنها الذل، لكن الأحكام خطيرة جدًّا، أحكام الدماء هي من أشد ما يكون في الأحكام، ولهٰذا يجب على الإنسان -في أمر الجهاد، في أمر الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، في أمر وعظ الناس وإفتائهم- أن يكون على بصيرة، وقد كان الرجل يأتي الصحابة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فيستفتيهم في المسألة؛ فيستفتي الأول في بعض المسائل التي قد تحتاج إلى شيء من اجتهاد، ويكون فيها نوع من تردد، فيحيله إلى أخ له ثانٍ، يقول: اذهب إلى فلان، فإذا أحاله إليه كأن الثاني -أيضًا- تردد، أحاله إلى ثالث، حتى يحيله آخرهم إلى الأول، يقول: أنا رجعت إليك، من شدة تورعهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في بعض المسائل.

❍ **ولهٰذا قال بعض السلف**: إن أحدكم يجرؤ على مسائل لو كانت زمن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لجمع لها أهل بدر؛ أي: يستشيرهم فيها، ومع ذلك يأتي الإنسان ويبدي فيها وجهته كأن الأمر سهل، فينبغي أن يُتقى الله عَزَّوَجَلَّ في مثل هٰذه الأمور، وأن يكون الإنسان على بصيرة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ -كل مؤمن يرجو أن يلقى الله تعالى- فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، بحيث يكون على هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].».

التوكل تقدم تعريفه، وهو أنه الاعتماد بالقلب على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو على نوعين:

❁ **الأصل أن يكون التوكل على الله، لكن متى يقع الشرك في التوكل؟ على نوعين:**

❍ **النوع الأول**: أن يتوكل على غير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ هنا يكون الشرك أكبر.

❍ **النوع الثاني**: أن يتوكل على غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق؛ فلا يحل، فلو توكل على الطبيب، الطبيب ما نقول: يملك الشفاء -حاشا لله-، لكن يملك ماذا؟ العلاج، ولا يقال: إن الطبيب يملك الشفاء، الشفاء ليس بيد الطبيب ولا بيد غيره، لكن عنده العلاج، أو لو توكل على الحاكم في رفع مظلمة؛ لا يحل؛ لأننا قلنا: التوكل: هو الاعتماد بالقلب على الله، فالقلب يجب أن يربط بالله تعالى، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك، بحيث يكون الإنسان إذا سعى في الأسباب، يكون ساعيًا في الأسباب المباحة، أما قلبه فإنه يكون مربوطًا بالله عَزَّوَجَلَّ.

لهٰذا قال صاحب «**التيسير**» رَحِمَهُ ٱللَّهُ -الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن: قال غيرهم: إنه إذا توكل على غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق؛ وقع في شرك أصغر، أي: إما أن يقع في شرك أكبر إذا توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويقع في شرك أصغر إذا توكل على غير الله في أمر يقدر عليه المخلوق، مثل: ما لو توكل على الحاكم في رفع مظلمة، الحاكم يقدر على رفع المظلمة، ترفع المظلمة للحاكم، لكن لا تتوكل عليه؛ لأن التوكل محض حق الله، التوكل ليس مثل المحبة، نقول: نوعان: محبة عادية، ومحبة عبادية، أو مثل: الخوف: خوف عادي، وخوف عبادي، لا، التوكل مثل أي عبادة يُفرد الله عَزَّوَجَلَّ بها، مثل: الصلاة -على سبيل المثال-، فلا تصلي إلا لله، ما نقول: يصلَّى لله عبادة، ويصلَّى لغير الله غير عبادة، ما تقبل الصلاة هٰذه القسمة، كذلك التوكل، ولهٰذا كان الصحيح من قول أهل العلم أن عبارة:

«توكلت على الله ثم عليك غير جائزة» هٰذا الصحيح، حتى بعبارة «ثم»، أما «وعليك» معلومة أنها لا تحل؛ لأن أصل التوكل -كما قلنا- غير قابل للقسمة؛ بحيث يقول العبد: توكلت على الله ثم على فلان.

❍ **كثير من آيات التوكل في القرآن تأتي بتقديم الجار والمجرور**؛ كما في الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٣﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢﴾ [إبراهيم: ١٢]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [آل عمران: ١٢٢]، ما فائدة تقديم الجار والمجرور؟ إفادة الحصر، **أي**: لا تتوكلوا إلا على الله؛ ولهٰذا دائما في التوكل قل: على الله توكلت، ولا تقل: يا فلان توكلت عليك، ولا تقل: توكلت على الله ثم عليك، بل التوكل على الله.

❍ **أما التوكيل** فيختلف عن التوكل -انتبه لهٰذه المسألة-، التوكيل غير التوكل، التوكيل: هو الإنابة؛ أي: نوبته في أمر، أما التوكل قلنا ما معناه؟ اعتماد القلب على الله، أما التوكيل: فهو أن تنيبه، بحيث يكون نائبًا عنك في أمر من الأمور، بعض أهل العلم يقول: تجوز عبارة «توكلت على الله ثم عليك» كما تجوز عبارة «ما شاء الله ثم شئت»، لكن الصحيح قول أهل العلم الآخرين: أنها لا تحل، بل هي خاصة بالله عَزَّوَجَلَّ، فيقال: توكلت على الله، وأما عبارة «أنا نوبتك، أو وكلتك»؛ فهٰذه لا إشكال فيها، تصح حتى مطلقًا، ما تقول: نوبت الله ثم نوبتك، ما تقول هٰذا أصلًا، ولكن تقول: أنا أنبتك في هٰذه المعاملة، بأن تكون نائبا عني، أو في كذا لا بأس، إذًا التوكل غير التوكيل، فالتوكل معناه -كما عندك هنا-: الاعتماد القلب على الله تعالى، فلا تعتمد بقلبك على أحد سواه.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: فهو كافيه، أي: من توكل على الله؛ فإن الله تعالى يكفيه ما أهمه.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[الأنبياء: ٩٠]».

جاء بهٰذه الآية على الأشياء الثلاثة: الرغبة، والرهبة، والخشوع.

❍ **الرغبة**: محبة الوصول إلى شيء محبوب، وذكر الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الرغبة راجعة إلى معنى الرجاء.

❍ **الرهبة**: الخوف، لكن ليس أي خوف، الخوف المثمر للهرب من الذي خفته، وقال الشيخ أيضًا حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرهبة ترجع إلى معنى الخوف.

❍ **الخشوع**: هو الذل والتطامن، بحيث يستسلم لقضاء الله عَزَّوَجَلَّ الكوني والشرعي، ذكر أيضًا الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الخضوع والخشوع والتذلل بمعنى؛ متقاربة، دل عليها -بهٰذه الثلاثة- قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، لأنهم جمعوا الرغبة والرهبة، المؤمن يكون بين الرغبة وبين الرهبة، يكون بين الخوف وبين الرجاء، لا يغلِّب الخوف بحيث يقنط، ولا يغلِّب الرجاء بحيث يأمن مكر الله، وإنما يكون بين الخوف وبين الرجاء، ويخشع لله تعالى، ويتوكل عليه، وهٰذا هو حال عباد الله الموفقين، يكونون بين الخوف وبين الرجاء، فأما إذا زاد في أمر الخوف فقد يقنط، وأما إذا زاد في أمر الرجاء وبالغ فيه فقد يأمن مكر الله تعالى، ويجترئ على حدوده.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]».

❍ **الخشية قيل**: أنها أخص من الخوف -كما هو اختيار الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أنها مرادفة للخوف، يقول تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ [البقرة:

١٥٠]، كما قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، هٰذا في الشيء الذي يفرد به الله عَزَّوَجَلَّ، أما كما قلنا الخوف العادي؛ فإنه على التفصيل الذي ذكرنا.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...) الآية [الزمر: ٥٤]».

❍ **الإنابة**: هي الرجوع لله تبارك وتعالى، وأمر الله تعالى العباد أن يرجعوا إلى ربهم تبارك وتعالى ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]؛ فأوجب الله تعالى على العباد الإنابة والرجوع إلى ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس لهم ملاذٍ دونه تبارك وتعالى، ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، فأمرهم بأن يرجعوا ويتوبوا إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقوموا بما أوجب الله عليهم من عبادته واجتناب معصيته، وأن يسلموا له تعالى الإسلام الشرعي الذي هو الاستسلام لأحكام الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: (...وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ)».

❍ **الاستعانة**: هي طلب المعونة، تقدم أنها إذا كانت في أمرٍ خاص بالله عَزَّوَجَلَّ فلا يحل أن تطلب إلا من الله وحده؛ ولهٰذا في الحديث: «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة] فالاستعانة بالله تبارك وتعالى، قدم هنا المفعول به «إياك نعبد» أي: لا نعبد إلا الله، «وإياك نستعين» أي: فلا نستعين إلا بك، ولا يعني ذلك منع الاستعانة بالعبد فيما يقدر؛ لأن العبد الاستعانة به فيما يقدر عليه لا بأس بها، إذا كانت بالشروط الثلاثة التي ذكرنا إذا كان في حي حاضر قادر، لكن كلما استطعت أن تلجأ إلى ربك تعالى، وتجعل حاجاتك موصولة به سبحانه فذلك أفضل لك من التطلع إلى الناس وطلب معونتهم.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]».

❍ **الاستعاذة**: هي طلب الإعاذة، ومعنى الإعاذة أن تُحمى من مكروه، فقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق] هي طلب من رب الفلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس] طلب من رب الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تطلبه عز اسمه أن يعيذك من هٰذا الذي تكره، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ من شر ما خالق، وفي سورة الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس] فتستعيذ بالله تعالى من هٰذا الذي تكرهه وتطلب منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحميك.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ...﴾ الآية [الأنفال: ٩]».

❍ **الاستغاثة**: طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدائد كما تقدم مثل ما لو طلب من أحد أن يغيثه في أغيثوني، لو وقع حريق ببيته لا يستطيع وحده أن يطفئه فيستغيث بمن حوله؛ فالاستغاثة بالحي الحاضر القادر لا بأس بها؛ فإذا استغاث بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فذلك خاص بالله فإذا صرفه لغير الله؛ فإنه يكون مشركًا.

❁ **قال المؤلف:** «وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]. وَمِنَ السُّنَّةِ: (لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ)».

❍ **الذبح**: معروف بأن يزهق روح البهيمة تقربًا؛ فإذا ذبحها لله عَزَّوَجَلَّ فهٰذا من أعظم أنواع العبادة؛ ولهٰذا قرنها الله بالصلاة في أكثر من موضع، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي:

ذبحي ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾؛ فكما أنك لا تصلي إلا لله، فلا تذبح إلا لله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ ﴾ [الكوثر: ٢] وكما أنك لا تصلي إلا لله فإنك لا تنحر إلا لله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهٰذا أورد الحديث بعده: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»، **واللعن**: -عياذًا بالله- هو الطرد والإبعاد عن رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن ذبح لغير الله تعالى؛ فإنه يستحق اللعن، فسواء تقرّب به إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ أو ذكر عليه غير اسم الله، كأن يقول باسم الحسين، أو باسم علي، أو باسم السيد البدوي، أو باسم الشيخ عبد القادر أو نحوه، هنا يكون قد أهلَّ به لغير الله فلا يحل في هٰذه الحالة، وإذا تقرب به بأن يقول حتى يغيثني صاحب القبر، حتى يرد عليه غائبي يكون الشرك أيضًا من هٰذه الزاوية يكون تلك تقرب.

قال المؤلف: « ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ ﴾ [الإنسان]».

ذكر الشيخ محمد بن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن النذر الوارد في الآية يراد به جميع العبادات التي فرضها الله؛ فالعبادات الواجبة إذا شرعها الله عَزَّوَجَلَّ تكون داخلة في اسم النذر؛ لهٰذا إذا شرع فيها الإنسان التزم بها، واستدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]، أما النذر الذي هو إلزام المكلف نفسه بما لم يجب عليه بأصل الشرع فإنه مكروه كما تقدم.

ذكر الله على كل حال أن الثناء والمدح لمن أوفى بالنذر في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧] هٰذا من صفات أهل الجنة، هٰذا لا شك أنها من العبادة.

❁ **قال المؤلف:** «الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

المرتبة الأولى: الإسلام.

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران، ١٨]».

❍ **الأصل الثاني من هٰذه الأصول وهو:** معرفة دين الإسلام، وبيَّن أن الإسلام معناه الاستسلام لله تعالى بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هٰذه الأمور الثلاثة لا بُدَّ منها لمن دخل في دين الله عَزَّوَجَلَّ؛ بأن يستسلم لله عَزَّوَجَلَّ، ويخضع لله تعالى خضوعًا مطلقًا، وينقاد لله عَزَّوَجَلَّ أيضًا، لا ينقاد في الظاهر وهو لا يريد الله؛ وإنما ينقاد لله وهو يريد الانقياد له لله عَزَّوَجَلَّ بالطاعات الظاهرة، ولا يكفي هٰذا حتى يبرأ من الشرك ومن أهل الشرك معًا، لا يقال: ابرأ من الشرك وحده، يُبرأ من الشرك من حيث هو شرك، ويُبرأ من أهل الشرك أيضًا، أما من يريد أن يفرق يقول نحن نبرأ من الشرك لكن لا نبرأ من أهله، أو نكره الشرك ولا نكره أهله؛ فهٰذه من فلسفات المتأخرين الفارغة؛ لأن الشرك لا يوجد إلا بوجود أهله؛ فالذي يعبد الأصنام لو لم يوجد من ينحت الأصنام ويتقرب إليها بأنواع العبادات ما وجد الشرك، فلا يمكن أن تقول: إني أبغض الشرك من حيث هو صرف العبادة لغير الله أما أهله فلا أبغضهم، هٰذا الكلام الفارغ الذي دب إلى الناس من هؤلاء الذين يريدون أن يذيبوا الفوارق العظيمة بين الإسلام وبين الكفر، وبين طريق الجنة وبين طريق النار؛ لا بُدَّ من البراءة من الشرك ومن أهل الشرك، ولهٰذا قال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ﴾ [التوبة: ١١٤] منه هو، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]؛ فأن يقال: نبرأ من الشرك ولا نبرأ منه أهله هٰذا من التناقض؛ ولهذا قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البراءة من الشرك ومن أهل الشرك أيضًا؛ بأن يبرأ من الشرك من حيث هو صرف عبادة لغير الله عَزَّوَجَلَّ مطلقًا؛ أيًّا كان المصروفة له العبادة، وأن يبرأ من فاعله.

❍ **لكن على التفصيل الذي ذكرنا نحن** قلنا إذا كان هٰذا الواقع في الشرك، واقع في الشرك بسبب التقصير في إيصال الدعوة إليه فالمسلمون ملومون، فعليهم أن يوصلوا الإسلام إليه؛ فإذا وصل الإسلام إليه فقد يسابقهم عليه، ويكون من أزكى عباد الله، وقد يصرّ على شركه فيكون حكمه حكم غيره من المشركين، أما أن يجير كسلنا وعجزنا على مجرد البراءة من المشركين مع تقصيرنا في الدعوة إلى الله فلا شك أن هٰذا ليس منهج السلف.

❍ **منهج السلف كما قلنا وسط بين المتميعين المتلاعبين وبين من يجعل البراءة من الشرك** بالنهج وبالأسلوب الذي ذكرنا من المبالغة فيه؛ وإنما على النهج والسنن الشرعي السليم بالتفصيل ولله الحمد مثل هٰذه الأمور بفضل الله ومنته بيِّنة واضحة في سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واضحةٌ في سيرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، متى برأ إبراهيم من أبيه؟ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ ﴾؛ لكن ماذا قال؟ ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾ [مريم] دعا واجتهد، أما أن لا ندعوا ولا نجتهد ثم نقول: البراءة، البراءة لا شك أنها حق كما قلنا، ولا يمكن أن يضيق بها المسلم -معاذ الله من ذلك-

كيف نضيق بالبراءة من أعداء الله؛ لكن لا بُدَّ من إبراء الذمة وإبلاغ الإسلام إلى الناس، وهٰذه هي مهمة.

ولهٰذا لو تتأمل الوضع زمن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم زمن عمر في عشر سنوات، أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما ولي انشغل بالمتردين الذين ارتدوا في الجزيرة، مجرد ما انتهت حروب الردة بدأ أبو بكر مباشرة في نشر الإسلام، وكان المسلمون إذا أتوا إلى البلد خيروا أهلها بين الإسلام وبين الجزية وبين القتال في سبيل الله؛ فكثير من البلاد قاتلت وفتحت، ومنها بلاد رضيت الجزية، ومنها بلاد دخلت الإسلام، فأدى الصحابة ما عليهم ولهٰذا لو تنظر إلى رقعة الإسلام زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه كان من أهم الأمور عنده الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ كان مهتمًا جدًّا بنشر الإسلام؛ فلهٰذا وصل الإسلام من المشرق والمغرب إلى حدود هائلةٍ بعيدة جدًّا في عشر سنين.

وكان الناس على الأحوال الثلاثة التي ذكرنا منهم من قاتل فدحره الله وغلب، ومنهم من بذل الجزية، ومنهم من دخل في الإسلام؛ لكن كان الصحابة والذين قتلوا من الصحابة رَحِمَهُمُ اللَّهُ وظلوا في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله أعداد غفيرة جدًّا منهم، تجدها في سيرهم؛ فبذلوا واجتهدوا، فعند ذلك وقعت البراءة موقعها، أما أن يظل أناس في هٰذه الأرض يجهلون أصل الإسلام ولا يدرون وبمجرد أن تأتي أدنى مناسبة تجده في بعض الأحيان قرية بأسرها تسلم، هٰذا يدل على التقصير العظيم، يعني هؤلاء الذين مكثوا هذه السنين الهائلة المتطاولة أحفادًا وأجدادًا ما وصلهم الإسلام، بمجرد أن وصلهم دعوة بعض الأحيان بأيسر السبل؛ تسلم قرية بأكملها ما معناه؟! معناه التقصير وهو الذي نقوله، معناها التقصير الواقع وإلا البراءة من أعداء الله حق ولا يمكن أن يضيق بها مسلم.

❍ **جاء في السيرة أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كتب كتابًا لأحد أصحابه** رَحِمَهُمُ اللَّهُ يوصي به ولاة الأمر من بعده، ماذا فعل هٰذا الصحابي الجليل؟ كانوا في بعثة في غزوة فتقدم إلى أهل هٰذه القرية وعرض عليهم الإسلام؛ فقال: أسلموا إن أسلمتم تركناكم لا شأن لنا بكم ولا

بأموالكم ولا بدمائكم؛ فأسلموا على يده فكأن بعض الصحابة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ قالوا: فوتَّنا الغنيمة أي: لو أنهم قاتلوا لغنمناهم فلما علم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك أثنى على فعله، وكتب كتابًا يوصي ولاة الأمر من بعده به.

❍ **ولما دخل كثير من اليهود والنصارى في الإسلام** كتب أحد الولاة الذين يجبون الجزية قال: إن هؤلاء إنما يدخلون في الإسلام ليكسروا الجزية؛ لأنه إذا دخل الإسلام لا تؤخذ منهم الجزية كتب هٰذا الكتاب إلى مَنْ؟ إلى عمر بن عبد العزيز فقال عمر بن عبد العزيز: إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا، الله بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاديًا للناس ولم يبعثه جابيًا يجبي الجزية؛ فإن كان الناس أسرعوا عندك في الجزية فاطوي كتابك فقد انتهى عملك واقدم إلينا، تقول: إن الناس أسلموا اترك عملك والجزية، تقول: الناس أسلموا هٰذه بشارة عظيمة انتهى عملك صرت عاطلًا عن العمل، ليت الناس يسلمون هٰذا مراده.

❍ **ولما قيل له**: إن النصارى يسلمون لتسقط عنهم الجزية فامتحنهم بالختان -يعني قل لهم من أسلم منكم سنقوم بختانه- قال: أنا أردهم عن الإسلام بالختان، أي: أجعلهم في موضع ضيق أقول إذا أسلمتم سنلجئكم إلى الختان، إنهم إذا أسلموا عمدوا بأنفسهم إلى الطهرة، أي: هم بأنفسهم ذهبوا واختتنوا؛ فأسلم أربعة آلاف من هٰذه المعاملة.

❍ **الإسلام يبذل الدعوة إليه**، تبذل الدعوة إلى الله وتبذل مهمة الداعي إلى الله وهمه أن يسلم الناس، وليس هٰذا من عمله بأن يتنازل عن شيء؛ لكن همه أن ينشر الدين؛ لأن ثمة أناس في الأرض أشد من الظمأى والجوعى إلى هٰذا الدين العظيم؛ فمثل ما قلنا أن يبرأ من الشرك قطعًا، ويبرأ من أهل الشرك بلا أدنى تردد؛ لكن علينا أن نبذل ما أوجب الله علينا من الآيات التي ذكرنا ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف] سوف تسئل الأمة عن إبلاغ القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾ [الأنعام: ١٩] على الأمة أن تبلغ، لا بُدَّ أن تبلغ الأمة، ومثل ما قال عمر بن عبد العزيز -وما أحسنها من كلمة-:

«إن الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا»، وكان الصحابة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون -مثل ما في خبر المغيرة مع الفرس وغيره إذا أتوا إليهم- قال: «إنكم إذا أسلمتم رجعنا عنكم ولم نتعرض لدمائكم ولا أموالكم وكان لكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا»، هٰذا إذا أسلمتم؛ لأن الأصل هو دعوتهم إلى الإسلام والحرص عليهم أن يسلموا؛ فإذا أبوا واتضح امتناعهم فلا تردد؛ لأن هؤلاء قد تركوا هٰذا الدين عمدًا وكابدوه عنادًا وعداءً، لكن أن يكونوا جهلة بسبب قلة الجهد والبذل في الدعوة إلى الله هٰذا مثل ما قلنا يجب أن ينظر إليه دائمًا عند أمر البراءة من الشرك.

فالأصل البراءة من المشركين ولكن أيضا الأصل تعليم الجاهلين والحرص عليهم حتى يتحدد الأمر بأن يسلموا فيكونوا مثلنا، وذكرنا لكم جد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بردزبة أنه كان مجوسيًّا ثم أسلم ثم صار من أحفاده هٰذا الإمام الكبير.

❍ **الحاصل**: أن الأمور كما قلنا تؤخذ الأدلة مكتملة مجتمعة وعلى هدي وسنن أهل العلم ولا تتلقى مثل هٰذه الأمور ممن هب ودب.

ثم قال: «**وهو ثلاث مراتب**» أي: أن الدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، الإسلام تقدم وهو يضم فيه مَنْ عَظُم إيمانه ومن قل إيمانه؛ فضعيف الإيمان مسلم وقوي الإيمان مسلم، أبو بكر مسلم والعصاة أمثالنا والمقصرين يطلق عليهم المسلمون.

❍ **الدرجة التي بعد الإسلام درجة الإيمان**، وهي درجة لمن علا وعظم وارتفع قدره في الاستمساك بدين الله تبارك وتعالى.

وبعدها الدرجة الثالثة درجة الإحسان، ذكر بعض أهل العلم أن قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [فاطر: ٣٢] قالوا: هٰذه على مراتب الإسلام، على مراتب الدين، فالظالم لنفسه من العصاة يسمى مسلمًا، المقتصد مَنْ هو؟ المقتصد من اقتصر على الواجبات وباين وترك المحرمات، بمعنى أنه ركز على ما أوجب الله عليه فعمله، وركز على ما نهاه الله عنه فتركه،

فصار سالمًا من الذنوب من جهة المعاصي، وسالمًا من الذنوب من جهة التفريط في الواجبات، قالوا: فهٰذا مقتصد، أما السابق بالخيرات فهو الذي مع تركه للمحرمات، ومع أدائه للواجبات فهو مسارع في النوافل والمستحبات.

❍ **فدرجة الإحسان أكمل** وهي التي بيَّنها جبريل كما قلنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما تقدم: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، ودرجة الإيمان للمقتصد، ودرجة الإسلام تضم، ويطلق الإسلام حتى على العصاة ممن يقعون في المعاصي من أهل القبلة.

بعدها قال: «**كل مرتبة لها أركان فأركان الإسلام خمسة**»، وشرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذكر أركان الإسلام:

❍ **الركن الأول**: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله واستدل عليه بقوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ويستدل عليه مثلا بآية الكرسي﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الآيات كثيرة في ذكر شهادة أن لا إلٰه إلا الله.

❍ **أما الدليل على شهادة أن محمدًا رسول الله** فيأتي إن شاء الله تعالى؛ وكذلك بقية الآيات، طالب العلم ينبغي مثل ما قلنا أن يعرف هٰذه الأدلة بحيث يتكلم عن هٰذه الأركان وفق أدلة، أما العامي فلا يلزم إلزاما وإن لو لُقن إياها وعُلم إياها لكان أجدى ولهٰذا الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يكتب لعامة المسلمين ورقات قصيرة جدًّا معظمها موجود في كتاب «**الأصول الثلاثة**» وكانت تتلى وتقرأ على الناس في المسجد، يلقنون الدين تلقينًا، يلقنون أهم مسائل الأصول هٰذه الثلاثة.

❍ **أما طالب العلم فينبغي له أن يتعرف على الأدلة**، وقلنا: إن العلم معناه معرفة الهدى بالدليل؛ فيحرص طالب العلم على أن يكون عنده أدلة مثلا لو قيل له: ما دليل شهادة أن محمدًا رسول الله ما تعرف معناه غير مناسبة، دليل شهادة أن محمد رسول الله قول الله في

سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] سهل أمره، ما الدليل على شهادة أن لا إله إلا الله؟ آية الكرسي أنت تقرأها ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هٰذا الدليل على شهادة أن لا إله إلا الله فيحرص طالب العلم على معرفة هٰذه الأدلة.

قال المؤلف: «وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤].».

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى هٰذه الكلمة العظيمة: «**لا إله إلا الله**»، ينبغي على طالب العلم أن يعلم أن معنى كلمة التوحيد من أشرف العلوم، معناها والأدلة على شروطها، وبيان نواقضها؛ فهٰذه من أعظم العلوم ومن أشرفها.

معنى «**لا إله إلا الله**» كلمة «الإله» المراد بها المعبود، وهٰذه الكلمة العظيمة مكونة من شقين: فيها نفي وفيها إثبات، «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات، النفي لأي شيء؟ لكل ما يعبد من دون الله، من ملك أو نبي أو صالح أو جن أو شجر أو حجر أو أي شيء كان، «لا إله» أي: لا معبود حق إلا الله وحده لا شريك له، وذكرنا أن قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] دلت على الشرطين العروة الوثقى: هي لا إله إلا الله، فمن يكفر بالطاغوت هٰذا النفي في قولك: «لا إله»، ويؤمن بالله هٰذا الإثبات في قولك: «إلا الله».

❍ **ومن الأدلة عليها قوله تبارك وتعالى:** ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ براء مما تعبدون هي «لا إله»، إلا الذي فطرني هو قولك: «إلا الله»؛ وهكذا حتى المشركون كانوا يعلمون أن معنى «لا إلٰه إلا الله» ترك عبادة أي أحد سوى الله؛ ولهٰذا لما دعاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى لا إلٰه إلا الله قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص: ٥] علموا أن معنى «لا إلٰه إلا الله» أن تترك جميع المعبودات ويفرد الله وحده بالعبادة؛ وهكذا قوم هود لما دعاهم هود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، قالوا: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ ﴾ لنعبد الله وحده هٰذه «إلا الله»، ونذر أي نترك ما كان يعبد آباؤنا هٰذا هو ركن النفي في قولك: «لا إله».

إذًا «لا إلٰه إلا الله» من ركنين: النفي والإثبات، «لا إلٰه إلا الله» تنفي العبادة عن أي أحد كان إلا الله؛ فهو المستحق وحده للعبادة، كما أنه ليس له شريك في ملكه فليس له شريك في عبادته.

ينبغي أيضًا أن نذكر أمر شروط «لا إلٰه إلا الله»، شروط لا إلٰه إلا الله ينبغي أن يعرفها طالب العلم ذكرها الشيخ حافظ حكمي في «**معارج القبول**»، وذكرها الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن في «**فتح المجيد**» نعطي عليها بيت شعر يجمعا لطالب العلم إذا حفظه حفظ الشروط السبعة، يقول الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الشروط:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع معه ... محبـــة وانقيـــادٍ والقبـــول لهـــا

❁ الشرط الأول: العلم.

أي: أنها سبعة شروط العلم معنى «لا إلٰه إلا الله»، والإخلاص في قولها، والانقياد بأن ينقاد قائل لا إلٰه إلا الله لما توجبه، واليقين المنافي للشك، والمحبة لهٰذه الكلمة ولأهلها والعاملين بها، والقبول لها إلى آخر شروطها التي قد يطول بنا المقام وقلنا إنها موجودة

مفصلة في كتاب الشيخ حافظ وكتاب الشيخ عبد الرَّحمٰن بن حسن رحمهما الله تعالى، فهٰذا معنى «لا إله إلا الله»، ما تفسيرها الذي يوضحها؟ الآية التي قلنا قول إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هٰذا «لا إله»، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فهٰذا الإثبات في قولك «إلا الله»؛ إذًا هي متضمنة للنفي والإثبات، وهكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ [آل عمران: ٦٤] ما هٰذه الكلمة؟ هي كلمة التوحيد ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ كلمة سواء بيننا وبينكم نستوي نحن وإياكم في هٰذه الكلمة ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ هذه كلمة التوحيد، ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

❁ **قال المؤلف:** « وَدلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٣] [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]».

ذكر بعد ذلك دليل شهادة أن محمدًا رسول الله في هٰذه الآية قلنا الأدلة كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي: أنه صلوات الله وسلامه عليه من جنسكم، من بينكم، ومع ذلك فيه هٰذه الصفات العظيمة صلوات الله وسلامه عليه، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: أنه يشق عليه ما شق عليكم، ثم مع ذلك فيه هٰذا الحرص العظيم صلوات الله وسلامه عليه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ صلوات الله وسلامه عليه؛ وهكذا من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وغير ذلك من الآيات.

ما معنى شهادة أن محمدًا رسول الله؟!

لا شك أن فيها إقرارًا باللسان؛ يتواطأ مع القلب، على أنه صلوات الله وسلامه عليه هو المبعوث للناس كافة وللجن أيضًا من عند رب العالمين، وأن دينه هو الدين الذي يجب أن يُتبع، وأن كل دين قبله؛ فإن أتباعه يجب عليهم أن يتبعوا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله تعالى أخذ على الأنبياء جميعًا عهدًا؛ إذا جاءهم نبي أن يؤمنوا به، وأخذت الأنبياء هٰذا العهد على أممهم، فوجب على كل من له دين قبل الإسلام أن يتبع محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الأنبياء قبله صلوات الله وسلامه عليهم جميعًا قد أخذت على أممهم العهد؛ بأن يتبعوه صلوات الله وسلامه عليه.

ما معنى شهادة أن محمدا رسول الله؟!

ذكرها رَحِمَهُ اللَّهُ في أربع جمل؛ طاعته فيما أمر؛ الأوامر التي يأمر بها يطاع فيها، أما الإخبار الذي يخبر به عن الغيب، أو عما مضى أو عن أي خبرٍ عن الله تعالى فإنه يصدق فيه؛ أما النهي الذي ينهى عنه بأن يزجر عن أمر معين وينهى عنه؛ فيجب أن يجتنب، وأما التعبد فلا يحل أن يتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بأي قربة إلا إذا كانت على هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَ؟ لأنه رسول الله، هٰذا معناها؛ فإذا أمرك تطيعه ولو كان ذلك على غير هوى نفسك، إذا أخبرك بأي أمر مهما كان هٰذا الخبر فإنك تصدقه، وإذا كانت عندك قناعات على خلاف هٰذا الخبر؛

فإنك تترك قناعاتك وتقدم الخبر، وهكذا كل ما تشتهيه النفوس وتميل إليه من الباطل مما زجر عنه؛ فإنه حتى ولو هويته النفوس فعلى المسلم أن يُلزم نفسه بالكف عنه، أما التعبد فلا يتعبد بشيء إلا الله تعالى إلا على طريقته وعلى سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم[1].

(١) نهاية المجلس الثاني.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]».

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ عليه السلام الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ

الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

❁ **قال المؤلف:** «الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ».

وهي أعظم هٰذه المراتب وأرفعها، وهي مرتبة الإحسان، والإحسان ضد الإساءة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ**»، حتى في القتل، حتى في الذبح، يجب أن يوقع على الوضع الحسن، وهو الوضع الشرعي السليم.

ثم ذكر أن الإحسان ركن واحد، تقدم أن الإسلام خمسة أركان.

❁ **قال المؤلف:** «الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ ، وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

على سبيل التشريف؛ أي: تعد نفسك كأنك ترى رب العالمين، فتصلي بين يديه، لا شك أن الإنسان لو استحضر هٰذا؛ لصلى صلاة لا نظير لها، ولو استحضر كأنه يرى رب العالمين؛ لكان إذا أراد أن يتكلم، أو يفعل، أو يترك شيئًا، فإنه يستحضر هٰذا الأمر، فيوقع القول والفعل والترك على أحسن ما يكون، كأنه يرى الله.

❁ **قال المؤلف:** «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

لما كانت رؤية الله مستحيلة في الدنيا، ولا يمكن أن يرى أحد ربه؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**» فلا يمكن أن يرى أحد رب العالمين بتاتًا في الدنيا، ولما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية قال له عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلم يتمالك الجبل لما تجلى الله –

تعالى- له فاندك، فكيف بالمخلوق، ففي الدنيا يستحيل استحالة تامة أن يرى أحد ربه، وإنما يرى المؤمنون ربهم -تعالى- في الجنة.

❁ **قال المؤلف:** «فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ».

أي: في هٰذه الدنيا، ولن تراه.

❁ **قال المؤلف:** «فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

استحضر أنه -تعالى- يراك، فإذا استحضرت أنه -تعالى- يراك؛ لا شك أن ذلك يثمر ثمرة عظيمة لمراقبته عَزَّوَجَلَّ، فإنك إذا جعلت هٰذا الأمر على بالك؛ أن الله -تعالى- يراك، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢١٧-٢١٩]، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ -لما ذكر خبر عدو الله أبي جهل، وتهدده النبي عليه الصلاة والسلام إن هو صلى-: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، فمن استحضر أن الله -تعالى- يراه فلا يُرتاب ولا يُشك أنه سيعبد الله عبادة المحسنين، وهٰذه هي المرتبة العظيمة التي قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، الذين أحسنوا العمل، ولن يُحسن العمل إلا إذا أُتِيَ به على شرطيه المتقدمين:

- **الأول**: أن يكون على هدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- **الثاني**: أن يكون العبد مخلصًا.

ولكن التفاوت في إيقاع العمل حتى من قبل المخلصين كبير جدًّا، فالصلاة يصليها كثير من المخلصين لله عَزَّوَجَلَّ، ويقيمونها على الحد الذي أمر الله عَزَّوَجَلَّ به، من جهة صورتها الظاهرة، لكن ثمة تفاوت عظيم في إيقاع الصلاة على هيئة من الخشوع والاستحضار لما يقوله المصلي في قراءته، وفي ركوعه، وفي سجوده، وفي دعائه، الفرق كبير، فيكون اثنان كلاهما صلى صلاة، من حيث الإخلاص لا يريد إلا الله، ومن حيث الإتيان بالصلاة على

وفق هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يؤديها بطمأنينة، وركوع، وسجود، وأداء لها على الهيئة الشرعية، هٰذا فيه كثير من الناس، كما قال السلف: يقف اثنان في الصف، وإن بينهما لكما بين السماء والأرض، أي: من جهة الخشوع، ومن جهة استحضار القلب، فهنا يكون الإحسان فيه تفاوت حتى بين المحسنين، وأعظم الناس إحسانًا هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

فمن استحضر هٰذا فلا شك أنه سيعبد الله -تعالى- عبادة يراعي فيها هٰذه المراقبة لله تبارك وتعالى، ولهٰذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، الذي يقع -والعياذ بالله- في فاحشة الزنا من المسلمين، لو أنه استحضر أن رب العالمين مطلع عليه؛ ما زنى، ولهٰذا لم يقل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يزني المؤمن؛ لأنه قد يزني وهو من أهل الإسلام، قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي**»؛ أي: حال زناه لا شك أن إيمانه -كما ورد في الأثر- صار على رأسه كالظلة، لأنه لو أتى الإيمان واستحضره لما زنى، ولكن يغيب عنه إيمانه، كما أن الإنسان المبصر لو أغمض عينيه البصر موجود عنده بصره موجود، هو ليس بأعمى، ولكنه لشدة الشهوة -عياذًا بالله-، وغلبة هواه، قد وقع في هٰذه الفاحشة، ولهذا قال: «**لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، وجاء «**أن العبد إذا زنى ارتفع إيمانه فصار على رأسه كالظلة، فإذا أقلع عاد إليه إيمانه**»؛ لأنه لا يخرج من الإسلام بزناه، لكن لا يُرتاب أنه لو استحضر إيمانه، وأن رب العالمين مطلع عليه؛ فمما لا شك فيه أن من المحال أن يزني، ويدل على هذا خبر الرجل الإسرائيلي في قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار، ومن ضمنهم الرجل الذي راود بنت عمه عن نفسها، حتى ألمت بها سنة من الشدة والحاجة، فلما جلس منها مقعد الرجل من امرأته؛ ذكرته بالإيمان، قالت: «**اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ**» ما ذكرته بقرابتها، ما قالت: بيننا قرابة، وهو يعرف أنها قريبته، ولا قالت: استحضر كون أبي عمًّا لك، هٰذه الأمور ما خفيت عليه، لكن ذكرته بإيمانه، فقام من ذلك الموضع؛ لأنه ذُكِّر بالله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **فلهٰذا إذا استُحضر الإيمان**؛ اتقى الله الناس فيما بينهم، اتقى الأبناء ربهم في آبائهم، واتقى الأقارب ربهم في أرحامهم، واتقى الجيران ربهم في جيرانهم، واتقى الناس فيما بينهم، اتقوا ربهم في جميع المعاملات، لكن إذا غابت تقوى الله أو ضعفت؛ وقع في الناس ما يقع من هٰذه المخالفات.

ولهٰذا مَنْ عَبد الله على الإحسان؛ فإنه يستريح من شره كل أحد، من القريب أو من البعيد؛ لأنه قد راقب الله -تعالى-، فهو تارك للشر لا لأجل الناس، لكن تارك للشر لأنه مراقب لله عَزَّوَجَلَّ.

❍ **ذكر بعض أهل العلم**: أن هٰذه المرتبة من مرتبتين، الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إنها مرتبة واحدة: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، من أهل العلم من يقول: إنهما مرتبان:

❍ **المرتبة الأولى**: أن تعبد الله كأنك تراه، في هٰذه الحالة يحصل شوق في أثناء العبادة، وحب للعبادة.

❍ **المرتبة الثانية**: أنك إن لم تكن تراه فإنه يراك، وهٰذه عبادة الهرب، ولهٰذا قالوا: إنها تكون مرتبة ثانية.

بعد أن ذكر كل ما تقدم، دلل عليه بحديث جبريل الجامع، الذي بدأ به مسلم في صحيحه، هٰذا أول حديث في صحيح مسلم، ورواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسياق أقصر من هٰذا، فيه: أن النبي عليه الصلاة والسلام كان مرة بين أصحابه جالسا -كما روى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فجاءهم رجل لا يعرفونه؛ أي: ليس من أهل البلد، لكن شأنه غريب، هو ظاهره أنه من المسافرين؛ لأن أهل البلد لا يعرفونه، لكن شأنه ليس شأن المسافرين، شديد سواد الشعر، شديد بياض الثياب، والعادة أن المسافر يصيبه من آثار سفره شيء من الشعث والتعب الذي يبدو في وجهه، وربما في ثيابه، وربما في شعره، كل هٰذا يبدو من آثار السفر، لكن هٰذا بخلاف ذلك، ومع ذلك لا يعرفه منهم أحد، فجاء ليسأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتأدب غاية الأدب

في السؤال، جاء فجلس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقترب منه، وفي بعض الروايات أنه قال: أَدْنُ؛ أي: أقترب، استأذن، فأذن له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدنا حتى اقترب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبتيه إلى ركبتي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووضع كفيه على فخذيه تأدبًا عند السؤال.

❁ **قال المؤلف:** «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

الأركان السابقة التي قلناها.

❁ **قال المؤلف:** «قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ».

وفي بعض الروايات: أنهم قالوا: كأنه يعلِّم رسول الله، السائل عادة لا يدري بجواب السؤال، لكن هٰذا فيه دلالة على أن للسائل أن يسأل عن أمر يعرف جوابه ليُسمع غيره الجواب، هٰذه من الفوائد، أن تسأل عن أمر أن تعرف جوابه، لكن هناك من هو حاضر ربما عنده شبهة، أو عنده إشكال، فأنت لم تسأل لنفسك، لكن سألت ليسمع غيرك فيصلح، ويدل عليه هٰذا الحديث.

❁ **قال المؤلف:** «قال: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

كل هٰذا مضى وشُرح.

❁ **قال المؤلف:** «قال: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟».

أي: متى الساعة.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ».

المسؤول عنها هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو سيد بني آدم أجمعين، والسائل هو جبريل، وهو سيد الملائكة، فأخبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن السائل والمسؤول يستويان في هٰذا؛ من جهة عدم العلم بوقتها؛ لأن الساعة لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٤]، فلا يجليها لوقتها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

❁ **قال المؤلف:** «قال: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟».

الأمارات: المقصود بها العلامات التي تكون في الساعة؛ فذكر له من علامات الساعة.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا».

ربتها أي: سيدتها، **والأمة**: هي التي تكون مملوكة يطأها سيدها، فيطؤها سيدها فتلد بنتًا للسيد تكون ربةً لهٰذه الأمة؛ من جهة أنها تكون أميرة، وتكون بنتا لهٰذا السيد الذي هو على هٰذا الحال من الجاه والمنصب، فتلد الأمة ربتها.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ».

الحفاة: الذين بلا نعال، **العراة**: الذين ليس عليهم ثياب، العالة: شديدو الفقر.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «رِعَاءَ الشَّاءِ».

وهٰذه حال تكون فيمن اشتد به الفقر، هؤلاء ينتقل حالهم إلى أن لا يبنوا فقط، بل يتطاولون في البنيان، ويتنافسون فيه، فهٰذه من علامات الساعة.

❁ **قال المؤلف:** «قال: «فَمَضَى».

أي: السائل.

قال المؤلف: «قال: «فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

وعبارة: الله ورسوله أعلم، في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الحق؛ لأن الله لا شك أنه أعلم مطلقًا، ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم، لكن بعد أن توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا سُئل إنسان عن أمر متعلق بواقع الناس وحالهم؛ فليس له أن يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعلم ما يقع بعد أن توفي، وإنما الذي يعلم هو الله، ولهٰذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما زِيدَ أُناس عن حوضه في القيامة، أنه يقول: «**أُصَيْحَابِي**» فتقول له الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: «**سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»، فقالوا له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وفي لفظ أنه قال: «**فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ** –أي: عيسى عليه الصلاة والسلام–: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]».

قال المؤلف: «قال: «هٰذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ».

وفي لفظ: أنه قال: «**رَآكُمْ لَمْ تَسْأَلُوا فَسَأَلَ**»، ففيه دلالة على أنه جاء ليعلمهم أمر الدين، ومن أمر دينهم أن يعرفوا هٰذه المراتب العظيمة، وهٰذا يدل على شرف هٰذه المسائل التي سُئل عنها، ولاحظ أن هٰذه المسائل كلها مسائل مرتبطة بالعقيدة؛ الإيمان، والإسلام، والإحسان، أشراط الساعة، كل هٰذا دل على أنه كان يريد أن يعلمهم هٰذه المسائل العظيمة المتعلقة بإيمانهم ودينهم.

❁ **قال المؤلف:** «الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بـ «اقْرَأْ»، وَأُرْسِلَ بـ «الْمُدَّثِّرْ»، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١- ٧]، وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾؛ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾؛ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا».

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأصل الثالث؛ وهو معرفة نبي الله وسيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه، هٰذه الأمور التي أراد أن تُعرف عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع:

❁ النوع الأول: معرفة اسمه الكريم:

❁ **قال المؤلف:** «وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ».

بن قصي بن كلاب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف:** «وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ».

عليهما صلاة الله سلامه، وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين، فأول ما ينبغي أن يعرف: اسمه صلوات الله وسلامه عليه.

قبل الكلام في بقية المسائل، يقال: إن من غربة الدين العظيمة: أن تجد كثيرًا من المسلمين؛ رجالًا ونساءًا، وشبابًا وكهولًا وكبارًا في حال من الجهل برسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من جهة جملة من المسائل التي لا ينبغي أن تخفى عليهم؛ كاسمه الكريم عليه الصلاة والسلام، وعمره المبارك المليء بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ومسألة هجرته، ومسألة بقائه في مكة، وهكذا أهم غزواته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترتيب أهمها على الأقل، وجملة من أخباره وسيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشهورة، وذلك أن الإقبال على تعلم سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّ في الناس كثيرًا، وهٰذا من أسباب نص الشيخ محمد -رحمة الله تعالى عليه- هنا على أهمية أن يعرف عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمور لا يليق بالمسلم أن تخفى عليه، من مثل: اسمه الكريم، وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه.

انفتح المسلمون في هٰذه الأزمنة انفتاحًا غير منضبط ولا سوي ولا صحيح على أعداء الله من أهل الكفر، فتجد عند كثير من شبابهم وشاباتهم من الدراية والمعارف بأحوال أعداء الله من أهل الكفر، وفي بعض الأحيان السفلة من أهل الكفر، ليس فقط هم كفار، ولكنهم أهل السفالة والرداءة منهم؛ من أهل التمثيل، والأغاني، ونحوها، وأقبلوا على أحوالهم، ومتابعة أمورهم إلى حدٍّ عرفوا معه الألوان التي يحبون، وعرفوا كيف يأكلون، وكيف يشربون، وتابعوهم متابعة عجيبة.، أمضوا فيها أوقات كأنما يتعلمون علمًا يرفعهم عند الله عَزَّوَجَلَّ، مع أن هؤلاء الكفرة هم جُثِيُّ جهنم، ولن تزيدهم معرفتهم، والإقبال على أحوالهم من الله إلا بعدًا.

ولهٰذا قلّ في الناس -الذين هم من هٰذا الصنف قطعًا، وإلا لا يزال ولله الحمد من المسلمين من يقبل على العلم، وعلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه- العلم بأمور هي من أوليات العلم، إلى حد أن بعضهم ربما لا يحسن الوضوء فترة طويلة، وهو يصلي ويتوضأ وضوءًا لا يجزؤه، أو يتوضأ ويحسن الوضوء ويصلي صلاة لا تجزؤه، كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ -وأورده عند قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم: ٧]: والله ليبلغ بأحدهم -أي: في معرفة دنياه- أن يضع الدرهم على أصبعه فيخبرك بوزنه، من درايته البالغة بأمور دنياه، قال: ثم لا يحسن يصلي، أي: أنه

أقبل هٰذا الإقبال على الدنيا حتى صار كأنه ميزان يعرف من كثرة ما يتعامل بالدرهم والدينار، يعرف أحوال الأموال وغيرها، لكنه لا يحسن يصلي مع هٰذه الدراية البالغة، وهٰذا حال أناس انفتحوا على أهل الكفر، وأمضوا الساعات الطوال في تتبع هؤلاء الذين لا يزيد العبد الإقبال عليهم من الله –تعالى– إلا بعدًا.

ولهٰذا يجب العناية بسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء من الجهات والمؤسسات؛ كجهات التعليم وجهات الإعلام، أو من الأفراد أنفسهم، بأن يقبلوا على معرفة دين الله عَزَّوَجَلَّ عمومًا، ومعرفة ما يتعلق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى من جهة أخباره، وأسماء زوجاته؛ لأنهن أمهاتكم وأنتم أولاد، والأولاد البررة يتعرفون على أحوال أمهاتهم، ألم يقل الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، أيليق أن لا نعرف أمهاتنا أمهات المؤمنين رضي الله –تعالى– عنهن وأرضاهن؟!!

الحاصل أن معرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما ينبغي أن يعتنى به، وأن يهتم به، فمن هنا ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ في أول ما ذكر، ذكر ما يتعلق باسمه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ النوع الثاني الذي ذكره ما يتعلق بعمره:

❁ قال المؤلف: «وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة».

عمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المشهور ثلاث وستون سنة، منها أربعون عامًا قبل أن يوحي الله –تعالى– إليه، ومنها ثلاثة وعشرون سنة بعد أن أكرمه الله –تعالى– بالوحي، وهي مقسمة إلى قسمين:

- **القسم الأول**: ثلاث عشرة سنة في مكة قبل أن يهاجر.
- **القسم الثاني**: عشر سنين في المدينة بعد أن هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ النوع الثالث الذي ذكره ما يتعلق ببلده:

❁ قال المؤلف: «وَبَلَدُهُ مَكَّةُ».

ولد فيها، فهو من أهل مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنه هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فهو من المهاجرين، لذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ**»؛ وذلك أن الهجرة أعظم من النصرة، فالمهاجرون أفضل من الأنصار، ولهٰذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا الهِجْرَةُ**»؛ أي: لولا ما لها من المنزلة، «**لَكُنْتُ امْرَءًا مِنَ الأَنْصَارِ**»، لكن لما كانت الهجرة أعظم؛ بقي على أمر هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لما فتح مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام ثمان، لم يعد إليها، ولم يرجع إليها، ونهى الصحابة أن يعودوا إليها من المهاجرين؛ لأن من ترك بلده لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنه ليس له أن يعود إليه، إذا ترك بلده مهاجرًا منه بدينه؛ فإنه لا يعود إليه مرة أخرى، وإذا أراد زيارة أو نحوه؛ فإنه ليس له أن يبقى فيه أكثر من ثلاث؛ ولهٰذا لما حج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتهى حجه مضى مباشرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما توفي سعد بن خولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من المهاجرين، توفي في مكة قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ**» يقول الراوي: يرثي له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مات بمكة؛ لأنهم يحبون أن لا يموت الواحد منهم في موضع هجرته؛ لأنه تركها لله، وليس في هٰذا غضاضة على سعد بن خولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه توفي، لم يعد إليها ويستوطنها لا، وإنما يحبون أن يموت في غير الموضع الذي هاجر منه وتركه لله عَزَّوَجَلَّ.

❁ قال المؤلف: «نُبِّئَ بـ «اقْرَأ».

أي: أول ما نزل عليه هو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [العلق: ٥]، هٰذا هو أول ما نزل، ولم

تنزل سورة «**اقرأ**» كاملة، وإنما صدرها أولها، هٰذا الذي قرأناه، هو الذي نزل، به صار نبيًّا؛ لأن الله أنبأه، فلذلك قال: نبئ بـ «**اقرأ**».

ليس في صدر هٰذه السورة أمر بالبلاغ، وإنما فيه إنباء بهٰذه الآيات المذكورة، وبه عُرف أنه نبي من عند الله –تعالى–، بم أرسله الله؟

❁ **قال المؤلف:** «**وَأُرْسِلَ بِـ «الْمُدَّثِّرْ»**».

أرسله الله بالمدثر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، أمره أن ينذر، فمعنى ذلك: أنه أرسله إلى الكفار، وأرسله إلى الناس عامة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أرسله بقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾.

❁ **قال المؤلف:** «**بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ**».

بعث الله هٰذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينذر الناس عن الشرك، ويدعوهم إلى توحيد الله، وقد تقدم أن أعظم ما ركز عليه ونبه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو التوحيد، وأعظم ما حذر منه هو الشرك، وكذلك رسل الله صلى الله عليهم وسلم جميعًا.

❁ **قال المؤلف:** «**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]**».

المدثر: ذاك أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تدثر لما رأى جبريل على تلك الهيئة، من شدة هول ما رأى.

❁ **قال المؤلف:** «**﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾**».

أمره الله –تعالى– أن يقوم بجد ونشاط، وأن ينذر الناس عما هم فيه من الشرك.

❁ **قال المؤلف:** «**﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾**».

أي: عظمه –تبارك وتعالى– بالتوحيد، كما فسره المصنف.

❁ **قال المؤلف:** «﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾».

فيها قولان:

❍ **القول الأول**: أي: طهر أعمالك عن الشرك، فيكون عُبر عن الأعمال بالثياب.

❍ **القول الثاني**: أن المراد الثياب المعروفة، أي: طهرها، لأن الإنسان لا يصلي إلا متطهرا.

ولا يمنع أن تكون الآية دالة على الأمرين معا، بأن يراد بها الأعمال، ويراد بها –أيضًا– في مدلولها تطهير الثياب.

❁ **قال المؤلف:** «﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾».

الرجز: هي الأصنام.

❁ **قال المؤلف:** «﴿فَاهْجُرْ﴾».

أي: اهجرها واتركها، وابرأ إلى الله –تعالى– منها، ومن وأهلها.

❁ **قال المؤلف:** «الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ».

هنا ينبغي التفطن إلى أمر التوحيد والعناية به.

❁ **قال المؤلف:** «أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ».

معنى ذلك: أنه ركّز ﷺ على التوحيد حين بعثه الله –تبارك وتعالى–، أكثر الفرائض لم تنزل في مكة، فلا الصوم –صوم رمضان–، ولا الحج، ولا الجهاد، ولا الزكاة فرضت في مكة، وإنما فرضت في المدينة، ماذا كان يفعل ﷺ في هٰذه السنين العشر الأولى من بعثته؟ كان يركز على التوحيد، وينذر قومه، ينذرهم ويحذرهم من عبادة

الأصنام، ويبيّن لهم الأدلة على بطلان عبادتها، وأن الواجب أن يفرد الله -تعالى- وحده بالعبادة، استمر على هٰذا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **والتوحيد التركيز عليه على هٰذا النحو لا شك أنه يدل على عظم شأن التوحيد**، وهو يعطي دلالة لكل من يدعو إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ بأن العناية يجب أن تنصرف في المقام الأول إلى التوحيد، ولهٰذا ظل نوح صلوات الله وسلامه عليه تسعمائة وخمسين سنة يدعو قومه إلى التوحيد، وأبوا عليه وامتنعوا، حتى دمر الله عَزَّوَجَلَّ قومه، وما نجا إلا القليل الذين كانوا معه عليه الصلاة والسلام، كل هٰذا يدل على عظم شأن التوحيد، الداعي إلى الله الصادق لا بد أن يركز على التوحيد، والداعي الجاهل، أو الداعي المنحرف، هو الذي لا يهتم ولا يكترث بالتوحيد؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يركز هٰذا التركيز الشديد على التوحيد، وتركز جميع الأنبياء وجميع الرسل صلى الله عليهم وسلم على التوحيد، ثم يأتي من يهون من شأن التوحيد، ويقول: إن التوحيد إذا ذكرناه سبَّبَ ذلك نفرة للروافض وللمتصوفة، ولأناس يهوُون البدع والخرافات، فنحن نريد أن نجمعهم؛ تجمعهم على ماذا؟ على أي شيء يُجمع الناس؟ لا يصلح أن يجمع الناس إلا على مبدأ صحيح، وإلا فقد يأتي الداعي ويدعو إلى مبدأ باطل، ويلتف حوله الملايين، ملايين الناس يجتمعون حوله، لكن لا شك أنه على غير بصيرة، وليس العبرة بالكثرة، فقد ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهْطُ**»؛ وهم الجماعة الذين دون العشرة، نبي في أمة كاملة ما تبعه إلا أقل من عشرة، «**وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ**»؛ نبي في أمة لم يتبعه منها إلا رجل واحد أو رجلان، قال: «**وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»؛ فيأتي هٰذا النبي في القيامة فيقال له: قد أبلغت، مهمتك ما هي؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل: ٣٥]، أبلغ وأدى ما عليه، أما كون الناس يتبعون أو لا يتبعون، يرضون أو لا يرضون؛ هٰذا ليس هو الذي يجعل موضع النظر والاهتمام، ويستمر الإنسان ينظر هل هٰذا يرضي الناس فأفعله وأدعو إليه، أو يغضبهم فأتركه، هو يدعو إلى الله، ولهٰذا قال -تعالى-: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أنت لا تدعو إلى نفسك، ومن جميل ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسائل كتاب «التوحيد»، لما أتى إلى هٰذه الآية: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: ١٠٨]، قال: فيه التنبيه إلى الإخلاص، فإن من الناس من يدعو إلى نفسه، هناك أناس يدعون لأنفسهم، يريدون الكثرة الجماهيرية، يريدون ثناء الناس، ولهٰذا يلاحظ ما يريده الناس، وما يهواه الناس، أنت داع إلى الله، لا يمكن أن تكون لك مهمة أشرف وأفضل من مهمة الرسل، الرسل مهمتهم البلاغ، والهداية بيد الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليست بيدك ولا بيد غيرك، ولهٰذا يجب أن يراعي الدعاة إلى الله هٰذا الأمر، وأن يهتموا به، وأن يعلم كل من لم يهتم بالتوحيد -وإنما أضاع عمره وعمر الناس في القصص والأحاجي، وفي أخبار الله أعلم بصحتها- أن هٰذا لا يمكن أن تبنى به أمة، ولا يمكن أن تعز به أمة الإسلام، ولا يمكن أن يكون به داعيًا يؤجر على ما هو عليه، بل هو إلى الإثم أقرب منه إلى الأجر، وكيف يؤجر وهو يدعو على غير منهج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فيجب أن يراعى هٰذا غاية المراعاة، يراعى هذا الأمر، ويهتم به غاية الاهتمام، ومن نقض دعوة التوحيد؛ فإنما ينقض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مباشرة، ومن زهّد في التوحيد؛ فإنما يزهد في المهمة العظمى التي أوجبها الله -تعالى.

❍ **ومن هنا تجد دعوات كثيرة، لها أتباع كثيرون**، ولها سنون طويلة ما جعل الله فيها لأمة الإسلام بركة، وما زادت الأمة عزة، وإنما هي طرق أضاعت أوقات الناس وجهودهم وأموالهم فيما لا خير فيه، ثم تجد الواحد من أتباع هؤلاء في طرقهم يصل الستين سنة لا يَعْلَقُ بشيء من العلم، ولهٰذا قال بعض السلف: يجلس الرجل إلى القاصِّ -الذي يقص الأخبار والقصص والقصة- السنة لا يعلق منه بشيء، ما استفاد منه، ويجلس إلى العالم المجلس الواحد فلا يقوم إلا بفائدة وبعلم، فرق كبير جدًّا جدًّا بين العلم والقصص، القصص أخبار وأحاجي، وشيء من الأمور التي الله أعلم بصحتها، منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، ومنها ما هو قصة صحيحة ثابتة لكنها محل نقد، ومحل رد، ومحل رفض، لكن

العلم أن تخرج من مجلس تعرف كيف تتوضأ؛ تخرج تعرف كيف تصلي، تخرج من مجلس تعرف معنى كلمة التوحيد، تعرف ما يتعلق بالعقيدة، هٰذه هي المجالس النافعة، وهي التي كانت مجالسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلمًا، وهو خير المعلمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **فالحاصل أن الدعوة إلى التوحيد ميزان كبير جدًّا توزن به أي دعوة**، وأي داع، فإن كان لا يكترث بالتوحيد؛ فإنه لا شك أنه من دعاة الباطل، وإن كان التوحيد، والتحذير من الشرك، والإلزام بالسنة، والتحذير من البدع دأبه وديدنه؛ فلا شك أنه على هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهٰذا قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهي العلم كما قلنا، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فمن أراد أن يتبع هٰذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فليهتم بما اهتم به، وليقدم ما قدم، وليُحَذِّر مما حذر منه، فإنه حين أرسل معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةِ أَنَّ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، دل على أن التوحيد هو أول ما يُبدأ به، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ**»، هٰذا الذي يجب أن يعلم الناس في المقام الأول، وأن ينبه الناس إليه في المقام الأول، فمن هنا مكث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى التوحيد عشر سنين، حتى رسخ التوحيد رسوخًا عظيمًا في أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولهٰذا أول ما بعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى الصحابة عن أن يزوروا المقابر، لماذا؟ لأن من شأن أهل الشرك أن يعظموا أهل القبور، فنهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن زيارة القبور، ثم لما رسخ التوحيد في قلوبهم؛ قال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ أَلَا فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّها تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»؛ لأن أصل نهيه عن زيارتها في أول الأمر خوفًا عليهم أن يقعوا فيما كانوا فيه من شرك أهل الجاهلية، فلما استقر التوحيد وثبت في نفوسهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم؛ أَذن لهم بزيارة القبور.

❍ **من أهم الآثار الواردة في هٰذا ما قالته أم المؤمنين عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، تقول كما روى البخاري: لو أن أول شيء نزل: لا تشربوا الخمر، لا تزنوا، لقالوا: لا ندعهما أبدا، تقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لو أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعثه الله قال: اتركوا شرب الخمور، هؤلاء قوم ليس عندهم عقيدة، ولن يُترك الخمر، ولا الزنا، ولا سائر المحرمات إلا إذا وجدت عقيدة راسخة، فإذا لم توجد عقيدة، وحذرته وهو بلا عقيدة؛ يقول: على ما أترك الخمر، أنا لا أترك الخمر أبدًا، ولا أترك الزنا أبدا، هٰذا لو أنه بُدئ بالنهي مباشرة عن المحرمات، ولهٰذا قالت: لو أول شيء نزل: لا تشربوا الخمر، لا تزنوا، لقالوا: لا ندعهما أبدا، هٰذا رواه البخاري، إذًا بِمَ بدأ؟ بدأ بالذي عندك هنا، يدعو إلى التوحيد.

❍ **فمن هنا لما نزل تحريم الخمر في المدينة بعد أشهر من بعثته** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩٠-٩١]، فتحوا أبوابهم، وسكبوا الخمر، وقالوا: انتهينا، انتهينا؛ لأن النهي عن الخمر جاء بعد عقيدة راسخة، يسهل على أهل هٰذه العقيدة العظيمة أن يتركوا الخمر، أما أن يُبدأ الناس بغير التوحيد، وبغير العقيدة التي تثمر فيهم تقوى الله عَزَّوَجَلَّ، وتثمر فيهم مثل: ما في خبر الرجل الذي ذكرناه من الثلاثة الذين انطبقت على الغار الذي كانوا فيه صخرة، فسألوا الله بصالح أعمالهم، فكان منهم هٰذا الثالث، الذي قال: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أُحِبُّهَا أَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ**»، ثم ذكر أنه راودها عن نفسها، فوافقته حين اشتدت بها حاجة، فدفع لها مائة وعشرين دينارًا، فلما جلس منها موضع الرجل من امرأته، قالت -انظر: العقيدة أتتك-: «**اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ**»، فقام من ذلك الموضع؛ لأنها ذكرته بالعقيدة، وقلنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، إذا كان راسخ العقيدة، مستحضرًا لإيمانه فإنه لا يزني، وهكذا السرقة؛ «**لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

❍ **فالحاصل أن الذي يجب أن يرسخ في الناس هو الاعتقاد الصواب**، ومن هنا لما صار الناس مذاهب شتى في الدعوة إلى الله؛ رأيت كثرة الفوضى في محيط من يدعون إلى الله؛ لأن الأصل في الدعوة إلى الله أن تكون على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كانت على غير هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحتى لو جمعت الجماهير الكثيرة، والأعداد الغفيرة، فإنها دعوة لا بركة فيها، وليس هٰذا هو الذي أمرك الله -تعالى- به في الدعوة إليه عَزَّوَجَلَّ، فالواجب أن يُبدأ بما بدأ به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهٰذا مكث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى التوحيد عشر سنين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **نزلت في مكة جملة من المنهيات، من المحرمات**، لكن بعد الأساس وهو التوحيد، أما الأوامر فكما قلنا: أكثر الأوامر إنما نزلت في المدينة، من مثل الجهاد، والزكاة ذات الأنصبة، والصلوات الخمس المعروفة، هٰذه نزلت في مكة، لكن بعد عشر سنين من بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعد عشر من بعثته عرج به إلى السماء، ومعنى العروج: الصعود، صعد به إلى السماء، وكلمه الله -تبارك وتعالى-؛ لأن الله -تعالى- فوق السماوات، فكلمه الله -تعالى- مباشرة، وفرض عليه الصلوات الخمس، وهٰذا من دلائل عظمة شأن الصلاة؛ لأن الله فرضها بنفسه، ولم ينزل بها جبريل كما نزل ببقية الفرائض، وغيرها من الأحكام، بل كلمه الله -تعالى- بها مباشرة؛ تعظيمًا لشأن الصلاة، ولهٰذا لو تقارن بين الصلاة وبين أي فريضة من الفريضة؛ لوجدت الصلاة تفوقها في كل شيء، فالصلوات في العام الواحد تصل إلى نحو من ألف وثمانمائة صلاة؛ لأنك تصلي في اليوم خمس صلوات، في الشهر تصلي نحوا من مائة وخمسين صلاة، في السنة تصل إلى هٰذه الحدود؛ نحو الألف وثمانمائة، قد تزيد أو تنقص بعض الشيء، حسب كون الأشهر ثلاثين يومًا، أو تسعة وعشرين يومًا.

❍ **الصلاة تجب على الديمومة على هٰذا الحال**، أما الحج فيجب على الإنسان مرة واحدة، وإذا حج لو مرة واحدة، فلو مكث مائة سنة لم يحج بعد حجته؛ فإنه لا يضره؛ لأنه لا يجب عليه إلا مرة واحدة، وهٰذا من فضل الصلاة أن تجب على الديمومة، ويجب الحج

مرة واحدة، الزكاة تجب مرة واحدة في السنة، الصوم يجب مرة واحدة في شهر واحد في السنة.

❍ **ثم إن الصلاة لا تسقط بتاتًا نهائيًا عن الإنسان ما دام يعقل**، فلا تسقط عن مسافر، ولا تسقط عن مريض، ولا تسقط عن فقير، أما الصوم فقد يسقط عن المريض، وأما الزكاة فتسقط عن الفقير، والحج يسقط عن الفقير، وكذا عن المريض العاجز عن الوصول إلى مكة، وبذلك نعلم أنه قد يوجد مسلم لم يحج، ولم يصم، ولم يزكِّ حياته كلها ولا يأثم؛ كأن يكون فقيرًا مريضًا، فلفقره لا يوجد عنده مال حتى يؤدي الزكاة، ولفقره لا يستطيع أن يصل إلى مكة ليحج، والله –تعالى– يقول: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، ولمرضه لا يستطيع الصيام، أما الصلاة فتلزم الفقير، والغني، والمريض، والسوي، والمسافر، وغير المسافر، ولهٰذا يسقط الصوم في السفر، ويؤديه من أيام أخر، أما الصلاة فلا تسقط، نعم تجمع الرباعية؛ الظهر إلى العصر، وتجمع المغرب إلى العشاء، لكن لا تسقط، حتى إنها تؤدى حتى في الحرب، وهي صلاة الخوف، وجاءت بها أكثر من هيئة وصورة، حتى إنها في حال المسايفة –وهي الدخول بين المسلمين والكفار مباشرة في القتال– فإن الإنسان يصلي ولو إلى غير قبلة، ويصلي ولو وهو يتحرك، معلوم أن المقاتل يتحرك، حتى يؤديها في وقتها، وهٰذا كله يدل على عظم شأن الصلاة، ولهٰذا من الغربة العظيمة العجيبة، التي يتعجب منها الإنسان، أن يوجد أناس مظاهرهم مظاهر الصالحين في دينهم، ومظهر السنة البيِّن فيهم، ثم تجد الواحد منهم ينام عن صلاة الفجر، واعجبًا!! ثم واعجبًا!! ما الفائدة من إظهار شعار السنة مع التفريط في الركن العظيم، هٰذا ركن الإسلام الكبير وهو الصلاة! فيجب أن يُعلم أن الصلاة لا نظير لها بتاتًا في الأركان من جهة المنزلة؛ إلا الشهادتان، فلا شيء أعظم من التوحيد والشهادة بالرسالة، ليس شيء بعدها إلا الصلاة، ولهٰذا قلنا: أنه يمكن أن يوجد مسلم لا يصوم، ولا يحج، ولا يزكي، ولا يأثم، لكن لا يوجد مسلم لا يصلي، أو يفرط في الصلاة، فينبغي أن يعلم أمرها.

❍ ولهذا **من عظم شأن الصلاة؛ فرضت في مكة قبل المدينة**، والصوم والحج والزكاة إنما فرضت في المدينة، فبُكِّر بفرضيتها في مكة، وصلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصلوات الخمس في مكة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه، فبعد العشر عُرج به -كما قلنا- إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، صلى في مكة ثلاث سنين، وأمر بعدها بالهجرة إلى المدينة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف:** «وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ، وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ».

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ما تقدم من كون الصلوات الخمس فرضت في مكة، وصلى ثلاث سنين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعدها هاجر إلى المدينة، ما المراد بالهجرة؟ الهجرة الشرعية: هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وليس الانتقال من بلد الإسلام إلى بلاد الشرك

هجرة شرعية، كما يعبر الآن يقال: هاجر إلى بلاد الغرب؛ هٰذا غلط، ليست هٰذه هي الهجرة، الواجب أن يهاجر من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد الإسلام، لا أن يسمى العكس، الهجرة إذا أطلقت وأريد بها اللغة؛ الجانب اللغوي فالمراد بها: مفارقة بلد وموضع إلى موضع آخر، لكن الهجرة الشرعية المراد بها: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

❍ **لا بد أن نتكلم عن المراد ببلد الشرك وبلد الإسلام:**

❍ **بلد الشرك**: هو الذي تظهر فيه شعائر الكفر، ولا تقام فيه شعائر الإسلام؛ كالأذان، والصلاة، والجمعة، والأعياد، على وجه عام شامل، قولنا: على وجه عام شامل مهم؛ لأنه قد تقام في بلاد الكفر مثل بلاد الغرب، قد يأذنون –مثلا– بالصلاة جماعة، وبالأذان، وبإظهار الجمع والأعياد، فلا تسمى تلك البلاد بلاد إسلام؛ لأن إظهار هٰذه الشعائر فيها ليس على وجه عام شامل، وإنما هو إظهار لها في محيط من يسمون –مثلا– بالأقليات ونحوها.

❍ **أما بلاد الإسلام فهي البلاد التي تقام فيها هٰذه الشعائر على وجه عام شامل**، ومن نعمة الله –تعالى– علينا وفضله ومنته أن من أكثر ما يمثل به على إقامة هٰذه الشعائر هٰذه البلاد، فيُعد العامل أثناء الصلاة من أهل الجناية، من أهل الجناية بمعنى: أنه يمكن أن يحاسب ويعاقب، وليس لأحد أن يمكث في عمله أثناء الصلاة إلا من يحل لهم شرعًا أن يمكثوا، ممن يترتب على تركهم لعملهم مفاسد؛ مثل: أن يكون حارسًا، أو مَنْ يكون ملازمًا لموضع لا بد فيه من الملازمة؛ كالأطباء الذين في الإسعاف، أو في نحوهم، فإن هؤلاء مأذون لهم شرعا، ثم إنهم لا يؤذن لهم شرعًا بترك الصلاة بالكلية، لكن بعدم حضور الجماعة، ومزاولة العمل في أثناء الصلاة؛ لأن ثمة أعمالا لا يمكن أن تقطع؛ كالحراسة فإنها لو قطعت ربما أتى اللصوص، وكحال الطبيب الذي يكون مناوبًا في الإسعاف، أما في مثل ما يسمى بالعيادات الخارجية وغيرها ممن يأتيه المراجعون، فينتظر المراجعون، وينتظر الفريق الطبي فترة، يصلون ثم يعودون، أما من يأتون في حالات الإسعاف، وحالات استقبال

الحوادث ونحوها، فهؤلاء لا شك أنهم مأذون لهم شرعًا، فعليهم المناوبة، فقد تفوته الصلاة لا حرج ولا إشكال؛ لأنه في عذر من الناحية الشرعية.

❍ **ولهٰذا من فضل الله ومنته هٰذا الإغلاق العام للمحلات**، وهو مما شَرِقَتْ به كثير من بلاد الكفر، وقالوا: لماذا توقفون الأعمال، ونحن لنا شركات ومؤسسات كبرى هنا تعمل، ونحن نحسب الدقيقة قبل الساعة، فإذا كنتم ستغلقون وقت الأذان، ثم في أثناء الصلاة، سيتكرر ذلك عدة مرات، فمعنى ذلك أنه ستتعطل أعمالنا، ومع ذلك فإنهم يلزمون بإيقاف الأعمال، وهٰذه من نعمة الله –تعالى– الكبيرة، ومن الدلائل والمظاهر الإسلامية البيِّنة.

❍ **من ذلك عدم الفطر في نهار رمضان**، والفطر في نهار رمضان –حتى بالمحرم– موجود في أكثر الأرض، والله المستعان، حتى في البلاد المتسمية بالبلاد الإسلامية، قد تجد هناك من يشرب الخمر في أثناء نهار رمضان، ولا يعاقبه ما يسمى بالقانون، هنا –ولله الحمد– حتى الشرط والهيئات جميع الجهات يصدر لها أمر بالقبض على أي أحد حتى لو كان كافرًا؛ إذا هو أظهر الفطر في رمضان، هٰذا معنى الشعائر، أن تكون الشعائر هٰذه ظاهرة، فلهٰذا تكون هٰذه الشعائر العظيمة، وهٰذا مما ينبه الشباب –شباب الأمة– إليه، لنحفظ هٰذه النعمة التي نحن فيها، المنكرات الأخرى لا يسهَّل من أمرها، ولا يدافع عن أهلها، لكن العاقل من يحفظ هٰذه المكتسبات الكبار، ثم يحتسب على المنكرات، كما كان السلف رضي الله عنهم يفعلون، فهٰذه مكتسبات كبيرة الآن.

❍ **من ذلك على سبيل المثال** –وهٰذا من الشعائر الكبيرة جدًّا، بل هو أعظم الشعائر–: أنه ليس هناك شرك ظاهر، ما البلد الذي لا يوجد فيه مواضع يدعى أهلها من دون الله –تعالى– في هٰذه المزارات الخبيثة في القبور وفي غيرها، الأرض مليئة بهٰذا؛ إلا أقل القليل، هنا –ولله الحمد– تلك المزارات التي كانت موجودة قد هدمت، ومن عجيب ما وقع: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ** –والحديث في الصحيحين– **حَتَّى تَضْطَكَّ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ**»؛ ذو الخلصة في جنوب المملكة، كان بيتًا لدوس تعظمه في

الجاهلية، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَكَّ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ** »؛ أي: يطفن به، فتصطك ألياتهن كما يحصل في الطواف، فدمر هٰذا على يد أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ كرامة إنهاء هٰذا الموضع الشركي على يدهم، وقبل أكثر من مائة، لأنهم لما هدموه -رحمهم الله- في ذاك الوقت كان هناك فؤوس ومساحي، فبقيت منه بقايا؛ لأنه بيت من صخور، ففجر في زمن الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بالدناميت؛ أي: حتى يزال تماما، لأنهم ما استطاعوا أن يزيلوه لأنه عبارة عن صخور، فعمل فيه الدناميت، وفجرت الصخور، وأزيل بالكلية، هٰذه شعائر كبيرة، شعائر إزالة الشرك، الأمر بالصلاة، الأمر بالصيام.

❍ **وهكذا مكتسبات كثيرة جدًّا؛ مثل -ولله الحمد-: الحجاب والإلزام به،** كل هٰذه المسائل -ولله الفضل والمنة- مكتسبات، فإذا وجدت منكرات -وهي موجودة، ونسأل الله أن يكفينا شرها- فالعاقل الذي يعي الشرع هو الذي يحفظ هٰذه المكتسبات أولًا، ثم يسعى في إزالة المنكرات بالأصول الشرعية، أما الذي لا يعي الشرع؛ فهو ينظر إلى هٰذه المنكرات، فيقول: لن أزيل هٰذه المنكرات إلا إذا دمرت الوضع بأسره، وهٰذه المكتسبات لتذهب، ثم قد تذهب -عياذا بالله- هٰذه المكتسبات فتعود المسائل المعاكسة لها؛ من الشرك، والعبث بالصلاة، والجهل بالصيام، وتبقى المنكرات الأخرى، ولهٰذا أسلوب التغيير في الشرع أسلوب علمي، ليس أسلوب عاطفيًّا، نبينا -وأكرم من أمر ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما صالح المشركين عام ست في عمرة الحديبية على أن يأتي ويحج ويعتمر من العام القادم، اعتمر عام سبع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا لم يكسر منها واحدًا، وأنهى عمرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورجع إلى المدينة، سنة واحدة وعاد فاتحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام ثمان فدمر الأصنام بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❍ **فالوضع الشرعي يجب أن يتعقله الناس،** أن ثمة مكتسبات عظيمة؛ ولا سيما وجود الأمن، والجماعة، والبيعة الشرعية، كما هو حاصل -ولله الحمد- هنا، فهٰذه مكتسبات

كبيرة، ومن خلالها يتصرف الآمر بالمعروف، من خلالها يتصرف الداعي إلى الله، العالم بنشر علمه، والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بنشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال وجود جماعة، ولهٰذا أمرنا بالصبر على ما يقع من جور الأئمة حفاظًا على الجماعة، لتبقى جماعة لها كيان تحفظ فيها الأعراض والدماء، ويحفظ فيها أمن الأمة، ويقع فيها ما يقع من الخير الكثير، وهٰذه المنكرات الموجودة يحتسب عليها، ويحذر منها، ويسعى في إزالتها، أو في تخفيفها، كما كان الصحابة رضي الله عنهم أدركوا جانبًا من المنكرات زمن بني أمية، فكانوا رضي الله عنهم يحافظون على أصل الجماعة، ووجود الدولة، ثم يسعون في المنكرات داخل الدولة، لا أن يخرجوا على الدولة ويقولوا: إن هٰذا هو الوضع الذي سيكون مناسبًا لإزالة المنكرات، هٰذا وضع لا شك أنه ليس وضعًا شرعيًّا بل هو ابتداع، ومن أعظم الابتداع؛ لأن الأصل أن تنكر المنكرات داخل الجماعة، لا أن تنكر المنكرات بالخروج على الجماعة؛ لأن مجرد الخروج عن الجماعة يعد بدعة غليظة جدًّا، ومن أعظم البدع، ولا يمكن أن تزيل المنكرات ببدعة، وحتى لو زالت المنكرات ببدعة؛ فالبدعة أخبث من المنكر.

❍ **ولهٰذا يجب على الإنسان أن يسلك المسلك الشرعي**، ويحرص على أن يدعو إلى الله –تعالى– على بصيرة بالنهج، وبالطريق الشرعي، وأن يعلم أنه ليس أغير على دين الله عزوجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا الحجاج، وأدركوا عبيد الله بن زياد وأمثاله من الولاة، وكان وقتهم ما كان من المنكرات، وبقوا مع ذلك داخل الجماعة، وأبوا رضي الله عنهم وأنكروا على مَنْ خرجوا على مثل الحجاج رغم ظلمه وتجبره وبطشه، حتى قالوا: إن عمر رضي الله عنه كان يضرب في الجنايات بالدرة –عصا صغيرة– فلما جاء زياد صار يضرب بالسياط؛ أي: زاد في العقوبة، فلما جاء بشر بن مروان صار يسمِّر يد الجاني بمسمار في خشبة، فلما جاء الحجاج قال: هٰذا كله لعب، وصار يعاقب في الجنايات العادية بالسيف مباشرة، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يَكُونُ فِي ثَقِيفَ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ**» الكذاب: هو

المختار بن أبي عبيد الذي ادعى النبوة، والمبير: هو المهلك الفاسق الذي قتل الناس ذاك القتل الذريع، وهو الحجاج، ومع ذلك صلى الصحابة رضي الله عنه خلفه، وصبروا على ما وقع عنهم من تعدٍّ وجناية حفاظًا على كيان الأمة، وأنكروا المنكرات بالقدر الموجود شرعًا؛ لأن المنكرات الأمر فيها من جهة إزالتها لا شك أنه على درجات.

❍ **والذي بيد طالب العلم وبيد أهل الخير والصلاح أن ينشروا الخير**، وأن يحذروا من المنكر، فإذا وصلنا إلى حد أنه لن يزال المنكر إلا بمنكر أشد منه؛ فمما نص أهل العلم عليه: أن المنكر إذا كان لن يزول إلا بمنكر أشد؛ أنه لا ينكر، ولهٰذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما جاء التتر، وكان التتار أهل تعدٍّ على الناس في أموالهم ودمائهم وفي أعراضهم، فكان بعض التتر يشرب الخمر، وإذا شرب الخمر سكر، ثم سقط في موضع، وبقي فترة مخمورًا من آثار الخمر، يستريح الناس منه، فكان بعض تلاميذ شيخ الإسلام ينكرون على التتار شرب الخمر، فيقول شيخ الإسلام -كما في «الاستقامة»-: فكنت أنهاهم عن أن ينكروا عليهم شرب الخمر لِمَ؟ قال: لأنهم إذا شربوا الخمر استراح الناس منهم، فوقع الواحد منهم كما هو حال -نسأل الله العافية- المخمورين، قد ينام له نصف نهار، أو النهار كاملًا، قال: فإذا سقط الواحد من هؤلاء استراح الناس منهم، واستراحت النساء، قد يواجه -وهو غير مخمور- امرأة ويفجر بها، وإذا كان غير مخمور ومعه سيفه وسلاحه وسطوته قد يتسلط على إنسان فيقتله، أو يأخذ ماله، قال: فإذا شرب الخمر، الخمر منكر، لكن المنكر الذي سيقع لو أنه كان مفيقًا أشد؛ من التعرض لنساء المسلمين وأموالهم ودمائهم، فقال: فكنت آمرهم ألا ينكروا عليهم، فإذا شربوا الخمر؛ فشُرب هؤلاء الخمر على ما فيه من منكر أخف من أن يتعرضوا للناس في دمائهم وأموالهم.

❍ **وهٰذه المسائل مسائل كبيرة جدًّا أيها الأخوة**، مسائل الجماعة، ومسائل التعامل مع المنكر ونحوه، مسائل تحتاج إلى فقه كبير جدًّا في السياسة الشرعية، وتقديم الأوليات،

والنظر في مآلات الأمور وعواقبها، وما الذي ستصير إليه، ولهٰذا لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يتعلق بالهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام احتجنا إلى أن نعرف ما بلد الإسلام.

ثم هنا أمر آخر أثير في الأزمنة الأخيرة يتعلق بالطاعة، هل يطاع الحاكم الذي له حكم على بقعة محددة؛ الحاكمين المسلمين، أو لا يطاع إلا الحاكم العام، الذي يكون له خلافة؛ مثل: خلافة عمر وأبي بكر وعلي وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وخلافة معاوية لما جاء عام الجماعة بحيث لا يطاع إلا من له ولاية عامة على المسلمين؟

❁ ينبغي أن يُعلم أن هذه الشبهة إنما صدرت أولا من الجهل بشيئين:

- **الأمر لأول**: الجهل بحقيقة الأحاديث الواردة في هٰذا.
- **الأمر الثاني**: الجهل بحقيقة تاريخ أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **أما الجهل الأول**: فعلى النحو الآتي: قد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم أنه قال: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ، أَوْ فَيَكْثُرونَ**» قالوا: فما تأمرنا -مع كثرة هؤلاء الذين يولون الناس؟- قال: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ** -وهو الطاعة- **فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**» فأثبت صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجود أكثر من خليفة، وقال في اللفظ الآخر: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ** -أعطوهم بيعتهم- **فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**».

ولما سأله سلمة بن يزيد: أرأيت إذا قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم -أي: من عادة الحاكم أن يقول: أطيعوا، أنا لي عليكم الطاعة- ويمنعوننا حقنا -أي: هو يريد أن نؤدي إليه حقه، لكن حقنا لم يصل إلينا- فأعرض صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فسأله ثانية فأعرض عنه، فسأله ثالثة، فلما ألح قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»، مع هٰذا الإلحاح الكثير، قال: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**»، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -والحديث في «صحيح مسلم»-: «**إِنَّهُ سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرونَ**»، فيه إخبار بأن الوضع الذي كان زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وجود حاكم واحد، أو الذي وجد زمن الخلفاء الراشدين من وجود حاكم واحد؛ هو أبو بكر فقط، ثم عمر فقط، ثم عثمان فقط، ثم

علي فقط، ثم معاوية فقط، أخبر أنه سيتغير؛ «**إِنَّهُ سَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرونَ**»، ماذا أمر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيال هٰذه الكثرة؟ أمر أن يوفى ببيعة الأول فالأول، وأن تؤدى إلى هؤلاء حقوقهم.

وقد علق القرطبي شارح «مسلم» على هٰذا الحديث تعليقًا حسنًا؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن وجود أكثر من حاكم وجد زمن السلف الأول في القرن الأول الهجري، متى هٰذا؟ لما وجد ابن الزبير فبايعت له العراق واليمن ومكة والمدينة، وبايعت الشام لمروان، فصار مروان يسمع له ويطاع في الشام، وصار ابن الزبير يسمع له ويطاع في هٰذه البلدان، والقضايا التي يقضى فيها هي في إطار حكم معين، تحت حكم شرعي، لا شك أن الجميع ما كان هناك في الأمة شيء اسمه التحكيم غير الشرعي بتاتًا، إنما نشأ هٰذا في القرون الأخيرة، فكان الناس يطيعون هنا ويطيعون هناك.

❍ **لما سقطت الدولة الأموية عام واحد وثلاثين ومائة، وجاءت الدولة العباسية بالغلبة،** وتمكنت من هزيمة بني أمية، ثبتت الولاية لبني العباس بالقوة؛ لأنهم تمكنوا بالغلبة، فصارت الدولة العباسية دولة وخلافة إسلامية، ثبت لها السمع والطاعة في البلاد؛ في مثل: العراق، وفي مثل: الشام، وفي مصر، والمواضع التي كانت فيها، وكان الإمام أحمد والشافعي ومالك والأئمة في زمن بني العباس يأمرون بالسمع والطاعة لهم.

❍ **بنو أمية أقاموا دولة في الأندلس -المسماة الآن بأسبانيا**، وبأجزاء من البرتغال- فكان العلماء في بلاد الأندلس يوجبون السمع والطاعة لبني أمية، والعلماء في دولة بني العباس يوجبون السمع والطاعة لبني العباس، فوجد أكثر من خلافة كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال شيخ الإسلام -الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ-: من يقول إنه لا يسمع ولا يطاع إلا لخليفة واحد؛ هٰذا لا يعرف ما وقع في الأمة؛ فإن الخلافة بهٰذا المعنى لم توجد من قبل زمن الإمام أحمد، وهٰذا كلام دقيق جدًّا، لماذا قال من قبل زمن الإمام أحمد؟ لأنه في زمن بني أمية لا شك كانت الدولة واحدة، في زمن الخلافة الراشدة كانت الدولة واحدة، لما

جاءت دولة بني العباس كثر الخروج على بني العباس، وكثر الاضطراب في زمن بني العباس، نعم في أولهم كانوا أقوياء، وضبطوا كثيرًا من البلاد، لكنهم لمن يتمكنوا من ضبط دولة الأندلس التي كان فيها بنو أمية، فكان فيها خلفاء في بلاد الأندلس، وخلفاء في المشرق الإسلامي في مصر والشام والعراق والحجاز ونحوها، فكان يسمع لهؤلاء ويطاع، فالقول بأنه ليس هناك دولة إسلامية إلا إذا كان عليها خليفة عام؛ لا شك أن هٰذا قول باطل.

❍ **ومن جميل ما يقال في هٰذا**: أن القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي يقول هٰذا الكلام ويقرره هو في زمن بني العباس؛ لأنه توفي لما سقطت دولة بني العباس، هو يقول ذلك الكلام وقت وجود الخلافة، فالقول بأنه لا يسمع ولا يطاع إلا لخليفة عام؛ لا شك أنه قول باطل مبتدع، وليس عليه أساس، وعمل المسلمين ودلالات الأحاديث كلها على خلاف هٰذا، ولهٰذا لما قال الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هٰذا الوضع قد تغير قبل زمن الإمام أحمد، يشير إلى ما ذكرناه، من أن الوضع إنما كان زمن بني أمية، في زمن بني أمية كانت الدولة واحدة، ومن أعجب حكامهم عبد الملك بن مروان؛ فإنه رضخت له جميع البلاد، وانتهى جميع منازعوه، واستمرت في قوة إلى أن وصلت إلى زمن مروان بن محمد فسقطت، وقامت على أنقاضها الدولة العباسية، ومع ذلك في زمن بني العباس -كما قلنا- أناس من بني أمية أقاموا دولة في الأندلس فكان يسمع لهم ويطاع، وكذلك بنو العباس كان يسمع لهم ويطاع، هٰذا في وقت عز وقوة، في عام مائة وواحد وثلاثين؛ أي: في القرن الثاني، كبار التابعين موجودون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فكيف في وقتنا نحن الآن هٰذا؟! ولهٰذا انتشار هٰذا القول خطر للغاية؛ لأن معناه أن الأمة تبقى هكذا حتى يأتيها خليفة، الله أعلم متى يأتيها خليفة، ثم يترتب على هٰذا أمر خطير جدًّا لا يتفطن له قائله: ماذا عن أحكام القضاة؟ هؤلاء القضاة الذين يقضون في الطلاق، وفي إحلال فروج النساء بالنكاح، وفي أمور الحكم في مسائل الدماء، وفي مسائل الأموال، ماذا يقال فيها؟ إذا لم يكن هٰذا الوضع وضعًا سويًّا سليمًا؛ معناه: أنه يطعن في أصل هٰذه الأحكام.

❍ **فالقول هٰذا خطير جدًّا، ولا شك أنه إنما غَذَّاه وانتشر غَذَّاه الجهل الحقيقة**، الجهل بالأحاديث والنصوص، مثل هٰذه النصوص التي ذكرنا، وحال إجماع الأمة على هٰذا الحال، وسيران الأمة على هٰذا الوضع سنين طويلة من عهدها، في وقت عز، وفي وقت قوة وتمكن، فكيف في هٰذا الحال الذي صارت الأمة على الوضع الذي تكالب عليها أعداؤها؟! فلو انتشر هٰذا، وقيل: أنه لا يسمع ولا يطاع، معناه: أن الأمة تكون في حال من الفوضى، والخروج عن الجماعة، والجاهلية المستديمة في جميع أنحاء الأمة، حتى يأتي وضع الخلافة الذي أعلم متى يأتي.

❍ **فالحاصل أن السمع والطاعة للحاكم المسلم واجب شرعًا**، والدولة الإسلامية لها مدلول -ولله الحمد-، ولها وضع محدد بينته النصوص، وبينه أهل العلم -رحمة الله تعالى عليهم- وليست شيئًا هُلاميًّا غريبًا؛ أي: شيئا صعبا كأنه من مسائل الرياضيات أو غيرها، عرفها أهل الإسلام -رحمهم الله- -الفقهاء- تعريفًا واضحًا، التي يظهر فيها شعائر الإسلام، فإذا ظهر فيها شعائر الإسلام، والحاكم مسلم؛ فإنها دولة إسلام، كما أنك الآن تقول: الدول الاشتراكية: هي التي يسود فيها المفهوم والمذهب الاشتراكي، والحكم القائم على النهج الاشتراكي الخبيث، فتقول: هٰذه دولة اشتراكية، لماذا إذا وجدت شعائر الإسلام، ووجد الحاكم المسلم، ما تكون دولة إسلامية؟!!

❍ **فالواجب أن يعرف أن مثل الأمور الخوض فيها بلا بصيرة وبلا علم سبَّب إشكالات كثيرة**، وسبب نوعًا من القدح في إجماعات الأمة السابقة، ويجب -مثل ما قلنا- أن تتلقى مثل هٰذه الأمور الكبيرة الخطيرة عن أهل العلم، وأن لا تكون موضع اجتهادات، أي: سمعت أحدهم -لم يتجاوز، في العشرينات من عمره- يقرر مثل هٰذه المسائل، أمر خطير جدًّا، ليس الأمر بالسهولة، أن يقال كلام ينشر في الأمة على خلاف إجماع علماء الأمة، وعلى خلاف إجماع الوضع، وعلى خلاف الإجماع التطبيقي للأمة الذي مشت عليه، فينبغي أن يعلم هٰذا، وأن لا يغرر بالمسلمين، ويشجعوا على الفوضى، وعلى الخروج على

الجماعة باسم أنه لا توجد خلافة، بل أوجب الله -تعالى- السمع والطاعة، وحصل هٰذا الأمر في سنين قبلنا، فكيف بالوضع الذي عليه الأمة، وقد تكالب عليها أعداء الله من اليهود والنصارى، صاروا يستخدمون وسائل وطرقًا باسم الدين؛ ليوجدوا هٰذه الفوضى، وهٰذا الاضطراب الحاصل في بلاد الإسلام، فالحذر الحذر، ولا يتلقى العلم إلا من أهله، يتلقى العلم من كبار أهل العلم -رحمهم الله- كما تقدم عن ابن مسعود: «إنما يهلك الناس إذا أخذوا العلم عن أصاغرهم، وإنما ينجون إذا أخذوا العلم عن أكابرهم»، من أهل العلم والرسوخ والبصيرة، فينبغي أن يلاحظ هٰذا، وأن يتفطن منه، ولا سيما في المسائل والنوازل الكبيرة، فإنها ليس من السهل الخوض فيها لكل أحد.

❁ **قال المؤلف:** «وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ».

أي: النقلة وترك بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام هٰذا أمر واجب، ولا يمكن أن ينقطع، أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**»؛ فهو مخصوص بمكة، بعد أن فتحها الله على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يهاجر الناس؛ لأنها صارت بلد إسلام.

❁ **مكة مرت بثلاثة أطوار؛ طوران هي بلاد كفر، وطور هي بلاد إسلام:**

○ **الطور الأول**: فهو ما قبل عام ست، بعد أن هاجر منها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا شك أنها بلد حرب كافرة، لما عاهدوا في صلح الحديبية صارت بلد كفر معاهَد، فلما فتحها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام ثمان صارت بلد إسلام، وكان المسلمون يؤمرون بالهجرة منها؛ لأنهم يفتنون في دينهم، فلما فتحها الله على المسلمين وصارت بلاد إسلام؛ لم يعد هناك حاجة لأن يهاجر منها المسلمون، ولهٰذا من جاء ليبايع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَضَتْ الهِجْرةُ لِأَهْلِهَا**»، أما الآن كيف تهاجر من مكة، مكة بلد إسلام، والمدينة بلد إسلام، فلو أردت أن تنتقل للمدينة لتتعلم العلم نعم؛ لكن فاتتك فضيلة الهجرة، ولهٰذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**»؛ لأنها فتحت، وإنما يهاجر منها حين كانت بلاد كفر.

❁ **قال المؤلف:** «وَهِيَ بَاقِيَةٌ».

أي: الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام

❁ **قال المؤلف:** «إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا -استثنى الله -تعالى- المستضعفين- إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧- ٩٩].

عوقب هؤلاء؛ لأنهم بقوا -مع أنهم مسلمون- في بلاد الكفر، يفتنون عن دينهم، ولا يتمكنون من إظهاره فعوقبوا؛ لأن الواجب عليهم أن ينتقلوا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام.

❁ **قال المؤلف:** «وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ». إلى آخره.

الذي في البغوي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، هٰذا هو القدر الذي نقله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أما عبارة: «ناداهم الله باسم الإيمان» هٰذه من الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفسه، فظن بعض أهل العلم والفضل أن الشيخ محمد ربما أنه وهم في النقل، ما وهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنما قال جزءًا من كلام البغوي؛ وهو سبب نزول الآية فقط، سبب نزول الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، هٰذا مراده، أن ينقل من تفسير البغوي هٰذا فقط، ثم تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: ناداهم الله باسم الإيمان، أي: بأن يهاجروا باسم الإيمان، بأن قال: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، ناداهم باسم الإيمان.

❁ **قال المؤلف:** «وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ».

أن الهجرة باقية في الأمة.

❁ **قال المؤلف:** «قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

ومتى تنقطع التوبة؟

❁ **قال المؤلف:** «وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

يأتي الكلام الآن على أمر بلاد الكفر والمقام فيها:

اعلم أنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفر للسياحة بتاتًا، وهٰذا هو المعروف المعلوم عند أهل العلم؛ لأن السياحة لا يمكن أن تكون سببًا تُقتحم به بلاد الكفر، ويقيم الإنسان فيها، مع ما يرى من تلك المظاهر العظيمة الفظيعة في الشرك الصريح بالله عَزَّوَجَلَّ، ومع مساوئ الأخلاق، وقبائح الأمور الموجودة عندهم، **وإنما يجوز السفر إلى بلاد الكفر بشروط معينة:**

❁ **الشرط الأول:**

الحاجة التي لا مدفع لها؛ كعلم لا يوجد إلا عندهم، أما إذا وجد العلم عند المسلمين؛ فلا يحل السفر، وأن يبعث الناس إلى بلاد الكفر، وإنما يوجد علم عندهم ليس موجودًا عن المسلمين، أما إذا وجد عند المسلمين؛ فإنه يتعلم عند المسلمين، ولا يذهب إلى بلاد الكفر، هٰذا هو الشرط الأول.

❍ **من الحاجة أيضًا:** العلاج الذي لا يوجد عند المسلمين وقد يوجد عند الكفار، فهٰذا أمر -أيضًا- لا مدفع منه.

وهكذا التاجر -كما نص أهل العلم- الذي يتاجر بقدر حاجته، فربما احتاج أن يسوِّق تجارته، وأن يسافر هناك، فإنه يسافر ويعمل على أمر تجارته، ثم بقدر ما يعمل في أمر

تجارته؛ فإنه يرجع، ما يمكث، يقول: سأنهي بقية هٰذا الشهر –مثلا– فيه، وسأتنقل متفرجًا، لا، إنما بقدر تجارته، ولما نص أهل العلم على صحته.

❁ الشرط الثاني:

أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ لأن بلاد الكفر مليئة بالتنصير وبالإلحاد، فأن يذهب إنسان لا يملك أن يدفع شبههم؛ لا يصلح.

❁ الشرط الثالث:

أن يكون عنده دين وتقوى تمنعه من الشهوات؛ لأن أولئك أناس لا أعراض عندهم، وليس عندهم حياء، وما حياتهم إلا كحياة البهائم، بل هي دونها، كما قال –تعالى–: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]، فلا يحل أن يذهب إنسان يمكن أن يتورط؛ بأن يرجع بمفاهيم أهل الإلحاد والكفر أو التنصير، أو –والعياذ بالله– أن ينتكس لقلة دينه وورعه، ثم يذهب إلى بلادهم، ولهٰذا ذكر الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا خطورة بعثة الشباب الصغار، هٰذا أمر خطير جدًّا، أن يبعث الشباب الصغار إلى تلك البلاد، مع ما هم فيه من عدم تحقق هٰذه الشروط، فتارة يكون العلم الذي بعثوا ليدرسوه موجودا، بل موجود في البلد هنا.

❍ **الأمر الآخر**: الشبهات، الواحد منهم لا يدفع أدنى شبهة عن نفسه، ولهٰذا تورط منهم من تورط –عياذًا بالله– بمذاهب السوء، انتكس وعاد بوجه غير الوجه الذي ذهب به؛ بسبب قلة علمه ودرايته.

❍ **الأمر الآخر**: الشهوات، شاب ليس عنده تلك التقوى التي تردعه، وأمامه –عياذًا بالله– الفواحش ليل نهار في الطرقات علنًا، فلا يحل مثل هٰذا، ولا يُبتعث مثل هؤلاء، وإنما يُبتعث من ذكرنا، ممن ذكر الشيخ محمد، الشروط هذه ذكرها أهل العلم، وممن ذكرها الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأمثاله، وله تنبيه مفيد جدًّا على السفر إلى بلاد الكفر، وأنه لا يصح ولا يحل السفر على سبيل السياحة، والتنقل في بلاد الكفر، مثل: من يريد أن

ينظر إلى الأنهار، وينظر إلى عجائب ما أودع الله -تعالى- في بلادهم من تلك النباتات، وتلك الحدائق ذات البهجة، ونحو هٰذا، هٰذا كله غير مبرر، ليس بمبرر كاف أبدًا، وإنما المبرر وجود الحاجة -كما ذكرنا-.

❁ الشرط الرابع:

أن يكون الإنسان أيضًا -وهٰذا شرط لا بد منه- أن يظهر دينه، يكون قادرًا على أن يظهر دينه، يظهر دينه، ويؤدي ما أوجب الله -تعالى- عليه، والذين يجب أن يستحوا ويخجلوا هم أهل الكفر، لا المسلم الذي أكرمه الله -تعالى- وأعزه بالإسلام، يعيش هناك كأنه غريب ذليل، يستحي من الصلاة، ويستحي من الصيام، لا، ما ينفع هٰذا، بل يظهر دينه، ويكون به معتزًا، ومظهرًا لدينه، وكم سبّب إظهار الدين والعزة به من إسلام أولئك؛ لأن في إظهار الدين مصالح عظيمة: منها إعزاز الدين، ومنها: دعوة الكفار إلى الدين نفسه؛ لأنهم إذا رأوا مثل هٰذه المظاهر سألوا عنها، وربما طلبوا ممن أظهرها أن يبين لهم الدين، وأن يشرحه لهم، فربما أسلموا، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، والمسلم عزيز بدين الله عَزَّوَجَلَّ، والشيء الذي يجعله ينهضم في دينه ويختفي كأنه لص، أو كأنه معه شيء يختفي به؛ لا شك أن هٰذا ليس هو الوضع السوي.

❍ **ولهٰذا من مليح ما ذكر**: أن عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة إلى الحبشة، فلما أرسله كان لهم باب لا يدخل أحد منه إلا منحنيًا؛ أي: على سبيل التواضع، جعلوا هٰذا الباب لا بد أن تنحني، فلما رآه عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعطاه دبره؛ رجع القهقرى، فغاظهم جدًّا وغضبوا؛ لأنهم يريدونه أن يتطامن هكذا، فعكس المسألة، وأعطاه قفاه نوعًا من إهانته، وعدم الاكتراث به، فسأله النجاشي: ما الذي حملك على هٰذا؟ قال: إنَّا لا نصنع هٰذا بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أي: لا ننحني لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تريدني أن أنحني لهٰذا، فأمرهم النجاشي بالكف عنه.

❍ **فالواجب أن يكون المسلم معتزًّا**، أما أن يقول الإنسان: لا أستطيع أن أعتز، ولا أستطيع أن أفعل هٰذا، ولا أستطيع أن أصلي، لكني سأسافر إلى بلادهم أتفرج على السياحة وأنظر، تترك أمر دينك، وأمر إظهاره لأجل أن تتفرج على أنهار وعلى حدائق؛ لا شك أن هٰذا لا يحل، وأن الفتوى بجوازه أنها غلط محض، وأن كبار علمائنا -رحمهم الله- ما زالوا ولم يزالوا على الفتوى بتحريم مثل هٰذا، وأن أمر الدين أكبر وأعز وأعظم من أن يمتهن لأجل تفرج على حدائق، أو على أنهار، أو على غيرها.

❁ **قال المؤلف: «فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ».**

وهٰذا -كما قلنا- دليل كبير على أن الدولة الإسلامية تقام على عقيدة، لاحظ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكث عشر سنين يؤسس العقيدة، جاءت الشرائع والأحكام وكثير من تفاصيل أحكام الشرع في المدينة، وهٰذا يدلك على أن الأصل في الدولة الإسلامية أن تبنى على العقيدة، وتكون الأحكام الشرعية تبعًا، أما لو أقام أحد الأحكام الشرعية في ضوء عقيدة منهارة فاسدة؛ فإن هٰذه ليست دولة إسلامية، إذا أمر -مثلا- بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، لكن الشرك ضارب أطنابه في أنحاء البلد، وأهل الدعوة إلى الشرك يظهرون هٰذه الدعوة ليل نهار، لا يمكن أن يكون هٰذا هو الوضع السوي؛ لأن الأصل أن الأحكام تبنى على العقيدة، لا أن تقام أحكام مقطوعة عن العقيدة؛ لأن هٰذا خلل بيِّن واضح، ولهٰذا مكث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يؤسس العقيدة عشر سنين، ولما انتقل إلى المدينة احذر أن تقول كف عن العقيدة، حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يمكن أن يكف عن العقيدة، حتى وهو في سياق الموت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** -يحذر ما صنعوا-»، العقيدة لا يمكن أن يكف عن الدعوة إليها، يدعى إلى العقيدة ليل نهار دائما، لكن تفاصيل الأحكام الشرعية جاءت في المدينة، وأقيمت الدولة الإسلامية في المدينة، أما مكة ما كان فيها دولة إسلامية؛ بمعنى: الدولة التي فيها حكم، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها

الحاكم، هٰذا غير ممكن، وغير مستطاع؛ لأن المجتمع مجتمع كافر، والمسلمون قلة مستضعفة، فلما انتقل ﷺ إلى المدينة أقيمت الدولة الإسلامية في المدينة، أخذ ﷺ على هٰذا عشر سنين؛ أي: في المدينة، وبعدها توفاه الله ﷺ.

❁ **قال المؤلف:** «أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ. بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]».

❁ **قال المؤلف:** «وَتُوُفِّيَ ﷺ».

النبي ﷺ وإن مات، كما لا شك أنه مات ﷺ، فإن دينه -ولله الحمد- باق، من نعمة الله -تعالى- أن دين رسول الله ﷺ الذي ارتضاه الله -تعالى-، أن هٰذا الدين الذي ارتضاه الله، وبعث به نبيه ﷺ، يتولى الله عَزَّوَجَلَّ من فوق سبع سمٰوات نصره وتأييده، ولهٰذا ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ لِهٰذَا الدِّينِ غَرْسًا**»، فنصر الدين ونشره ليس قائمًا على جهد فلان أو فلان، أو على دولة معينة دون دولة، نعم جهود المسلمين كلها يجب أن تتضافر على هٰذا، لكن لنعلم أن نصر الدين إلهيٌّ محض، وأن الله يتولى من فوق سبع سمٰوات نصر دينه، وأن أمر الدين هذا لا يمكن أن تقف أمامه قوى الغرب أو الشرق، ولهٰذا هو منتصر رغم أنوفهم، ولهٰذا هو -الآن- ينتشر في بلاد الغرب على هيئة لا نظير لها في تاريخهم -فيما نعلم- انتشارًا عظيمًا جدًّا لا نظير له؛ لأن الله -تعالى- هو الذي يتولى إعزازه ونصره.

❁ **قال المؤلف:** «وَدِينُهُ بَاقٍ».

فدين هٰذا النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقٍ.

❁ **قال المؤلف:** «وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ».

لما توفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن شيء من الخير يمكن أن يدل الأمة عليه؛ إلا وقد دلهم عليه، ولم يكن شر يمكن أن تقع فيه الأمة إلا وحذرها منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأدى الأمانة على أكمل ما يكون صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❁ **قال المؤلف:** «وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ».

أعظم الخير الذي دل الأمة عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله، وأعظم الشر الذي حذر منه الشرك، ثم جميع ما يكرهه الله ويأباه.

❁ **قال المؤلف:** «بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً».

وبعثته يجب أن يُعلم أنها إلى الناس كافة، فليس بعده نبي كائنًا ما كان، كل من ادعى النبوة بعده؛ فإنه كافر مرتد هو ومن تبعه، إذ هو خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يمكن أن يأتي بعده نبي.

❁ **قال المؤلف:** «وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ».

وطاعته فرض على الجن والإنس؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ومن كان قبله من الأنبياء كانوا يخاطبون قومهم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ﴾،

فكانوا يخاطبون أقوامهم، أما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعله الله -تعالى- للجن والإنس: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ودينه -ولله الحمد- أكمل الدين، فليس بحاجة إلى ابتداع، ولا إلى اختراع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم(١).

(١) نهاية المجلس الثالث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بَعْدُ:

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]. **وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]. **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]».

هٰذا الموضع ذكر فيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من مسألة:

❁ المسألة الأولى:

الدليل على موته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، استدل على موته بقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فأخبر الله تعالى الأمة أن هٰذا النبي الكريم لا بد أن يموت، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء] يعني أفإن مت أفهم الخالدون! كلهم سيموتون كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، توفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما توفي غيره، وصلي عليه صلوات الله وسلامه عليه صلى عليه المسلمون ثم دفن صلوات الله وسلامه

عليه، وهنا نشير إلى حديث مهم في البخاري فيه التفريق بين حال وفاته وحال حياته، فإن الناس في حال حياته كانوا يسألونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو لهم، ويطلبون منه أن يستغفر لهم ونحو ذلك، أما في حال وفاته فلا شك أن هٰذا لا يجوز أن يطلب منه بتاتًا؛ لأن وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لها أحكام تختلف كل الاختلاف عن الأحكام حين كان حيًّا.

ومن أهم ما يظهر في هٰذا حديث في البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يومًا فقالت: وارأساه فقال: «**يا عائشة لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ**» وفي اللفظ الآخر: «**وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي، فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، ثُمَّ دَفَنْتُكِ**» ما فائدة هٰذا الحديث؟ فائدة هٰذا الحديث كبيرة، هي التفريق بين حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيطلب منه الدعاء والاستغفار ويأتي الرجل من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة ونحو ذلك، أما بعد وفاته فإن ذلك ينقطع كله، والدليل أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قالت عائشة وارأساه قال: «**ما ضرك لو مت قبلي فكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك**» وفي اللفظ الآخر: «**لو كان ذلك**» يعني وفاتك «**وأنا حي فأستغفر لك وأدعو**» فدل على أنه عليه الصلاة السلام يكون صلاته على الناس واستغفاره لهم حال الحياة فقط، فأما بعد وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فلا يُطلب منه ذلك؛ إذ لو كان ذلك مما يصح أن يُطلب منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تستغفر لي وأنت حي، وإذا مت طلبت منك في قبرك أن تستغفر لي، فلماذا فرق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين حال حياته وحال وفاته؟ لأنه في حال حياته يصح أن يطلب منه أن يدعو وأن يستغفر، وأن يصلي على الناس، لكن بعد وفاته لا شك أنه ينقطع ذلك كله، ولهٰذا لما كان هٰذا غير جائز وغير واقع، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كان ذلك**» بالكسر، والصواب لو كان ذلك يخاطبها مؤنث، «**لو كان ذلك وأنا حي فأستغفر لك**» فأما بعد وفاته فلا يتحقق هٰذا ولا يصح طلبه منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتاتًا، فما يفعله الذين لا يفقهون يأتون ويقولون: إنَّا نطلب منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبره أن يدعو لنا لو كان هٰذا يسوغ

لما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: لو كان ذلك وأنا حي يعني لو أنك توفيتِ وأنا حي فاستغفرت لك ودعوت الله، هٰذا أمر.

إذًا فهو بشر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كغيره من البشر، يموت كما يموت البشر، وتقدم حديث أنه حين يزاد أناس عن حوضه فيقول: «**مني ومن أمتي**» كما في اللفظ الآخر لأنه رآهم في حال حياته مسلمين هٰذا هو الظاهر منهم، فتقول الملائكة: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدكم، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح -يعني عيسى-: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فقالت الملائكة: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فدل على أنه لا يعلم كما يظن الجاهلون وأهل الغلو أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم ما يقع في أمته، وأنه يمكن أن ترفع إليه الأمور ويخبر بحال أمته لا شك أن هٰذا من اعتقاد أهل التخريف والضلال، فهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قد انقطع أمر علمه بالحياة بمجرد موته؛ لأنه بشر: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] فهو من الزاوية بشر، أكرمه الله بالوحي فقال تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ فهٰذه هي الخصيصة التي اختص بها، وإلا فبقية أحواله أنه بشر يمرض كما يمرض البشر، يموت كما يموت البشر، يبعث كما يبعث البشر.

❁ قال المؤلف: «والناس إذا ماتوا يبعثون».

لاحظ عباراته والدليل قوله، والدليل قوله، هٰذا منهج أن العقيدة تتلقى بالأدلة، فهو هنا يقول أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات والدليل قوله تعالى، والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل، وبعد البعث يُجزون ويُحاسبون والدليل؛ لأن هٰذه المسائل تحتاج إلى دليل، وهٰذه سمة أهل الحق أنهم يستدلون دائمًا على عقيدتهم ولا يُطلقون العقيدة هكذا دون أدلة ولا يُلزمون الناس باعتقادهم شيء دون دليل، والناس إذا ماتوا يبعثون، أي أنهم يخرجون من قبورهم أحياءً بعد أن ماتوا والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي بالدفن بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وذلك ببعثهم، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا

﴿١٧﴾ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨]، وبعد البعث تبعث هٰذه الخلائق لتحاسب وتجازى، والدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

قال المؤلف: «ومن كذب بالبعث كفر».

سبب نص المؤلف على أمر البعث وتكراره أن ثمة جماعات غير قليلة في زمنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأجلاف كانوا ينكرون البعث وكان المؤلف يتحدث عنهم وعن كفرهم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن من أنكر البعث فإنه كافر ونعى المؤلف على من قال: إن هؤلاء مسلمون يقول: كيف يكون هؤلاء من المسلمين وهم ينكرون البعث؟ والذي ينكر البعث ماذا سينكر؟ سينكر الجزاء والحساب، وإذا أنكر الجزاء والحساب سينكر الجنة والنار، فهم ينكرون هٰذا كله يقول المؤلف: كيف يكون هؤلاء من المسلمين نعوذ بالله؟ ولهٰذا كرر المؤلف هنا أمر البعث والدلالة عليه والجزاء والحساب؛ لوجود هٰذه الطائفة في وقته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثم ذكر قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

قال المؤلف: «وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]».

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ ما يتعلق بالرسل، وأن الله تعالى أرسلهم مبشرين من أطاع، ومنذرين من خالف، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾، حكمة إرسالهم أن تنقطع المعذرة، وألا يحتج أحد على الله تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فدل على أن الذي يقطع الحجة هم الرسل صلى الله عليهم وسلم، ولهٰذا فإن الله لا يعذب أحدًا إلا بعد بعثة الرسل، إذا بعثت الرسل وقامت الحجة وانقطعت الحجج عذّب الله من أبى اتباع الرسل، ولهٰذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] وخاتم هؤلاء الرسل وهو سيدهم وسيد ولد آدم أجمعين هو محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وكل دعوى نبوة بعده فإنها كفر من مدعيها ومن مصدقها، فهو خاتم الرسل، ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـۧنَ ﴾، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**» فلا نبي بعده بتاتًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ودينه أكمل دين، ودينه عام للجن والإنس فلا دين بعد هٰذا الدين يقبل عند الله تعالى، ولا نبي بعد هٰذا النبي الكريم، ولا كتاب بعد القرآن العظيم، وليس بعد هٰذه الأمة أي أمة أخرى، إنما على نهاية هٰذه الأمة تقوم الساعة، ولهٰذا

۞ **قال المؤلف:** «والدليل على أن نوحًا أول الرسل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣] ».

استدل بهٰذه الآية على أن نوحًا هو أول الرسل، وهو أول الرسل بعد وقوع الشرك، لكن لا شك أن آدم قبله، وأنه من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وقد استدل بهٰذه الآية بعض أهل العلم على أن نوحًا، من أهل العلم من يقول إن إدريس قبل نوح، ويقولون: إن إدريس جد أبي نوح يقولون: إن نوح هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ويقولون أخنوخ هٰذا

هو إدريس يعني جد أبي نوح، بعض أهل العلم قال: إن هٰذا ليس بسليم؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ قالوا: ونوح هو أول الأنبياء.

❍ **ومعلوم أن آدم نبي قطعًا**، ومنهم من يقول إن نوحًا هو أول رسول بعد الشرك، فبعد الشرك هو أول الرسل وهو الوارد في الحديث الصحيح حين يقول الناس: يا نوح أنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن كل أمة بعث الله إليها رسولًا، مثل ما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول الرسالة أن الله لم يترك الناس هملًا ضائعين، بل أرسل إليهم رسولًا يأمرهم وينهاهم، فما من أمة إلا وقد أقام الله تعالى عليها الحجة كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر] فيبعث الله تعالى فيهم رسولًا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله تعالى، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾ فدل على أن الرسول يبعث في كل أمة، ماذا تقول الرسل وما دعوة الرسل؟ ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ وهٰذا معنى التوحيد كما تقدم بيانه في السابق، وبه يعلم أن الرسل كثيرون جدًّا لا يحصيهم إلا الله؛ لأن كل أمة يبعث فيها رسول ولهٰذا قال الله تعالى في الرسل: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨] فثمة رسل لا نعلمهم ولهٰذا نؤمن بهم جميعًا من علمنا منهم ومن لم نعلم، ثم سيذكر بعد ذلك الكلام على الطاغوت والكفر به ومعناه.

❁ **قال المؤلف:** « وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا اله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ). وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.».

افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

❍ **ما المراد بالطاغوت؟!**

ورد الطاغوت في القرآن على معنيين:

❍ **المعنى الأول**: المعبود من دون الله إذا كان راضيًا، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ العروة الوثقى هي لا إله إلا الله، الاستمساك بها لا بد فيه من أمرين اثنين: الكفر بالطاغوت، والمراد به المعبود من دون الله إذا كان راضيًا، ويدخل في إطلاق الطاغوت: الأصنام والأوثان، فإنه يصح إطلاق الطواغيت عليها، أما مَنْ عُبد وهو غير راضٍ كالملائكة عليهم الصلاة والسلام، أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو عباد الله الصالحون فهؤلاء لا يرضون، بل هم أشد الناس بغضًا للشرك ولمن يعمل بهم هٰذا، وهم يبرؤون إلى الله مما فُعل بهم، لا شك أن لا يصح أن يسمى مثل هؤلاء طواغيت قطعًا.

❍ **إذًا الطاغوت هو الذي يرضى**، ويُطلق الطاغوت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ على من أبى تحكيم شرع الله والتمس تحكيم شرع غيره، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠] فيريدون أن يُتحاكم إلى غير شرع الله، فالتحاكم إلى غير شرع الله تحاكم إلى الطاغوت بنص هٰذه الآية واجب على الأمة أن تتحاكم إلى شرع ربها، أما ما سوى هٰذا الشرع من هٰذه القوانين الخبيثة المجتلبة من بلاد الكفر شرقًا كانت أو غربًا وكل وضع يسود سواء في شكل قبلي، أو في شكل أعراف على خلاف الشرع، فإنه يجب أن لا يخضع له، ويجب أن يتركه المسلمون وأن يكفروا به كفرًا؛ لأن الله تعالى أمر بالكفر بهٰذه الطواغيت التي هي على خلاف شرعه، فيجب أن يُلتزم شرع الله تعالى، وأن تُجتنب هٰذه الأحكام الباطلة.

❁ **قال المؤلف: «الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».**

أصل الطغيان هو مجاوزة الحد كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة] أي: لما زاد الماء عن الحد حملناكم في الجارية يعني السفينة، فتجاوز العبد حده بأحد يعبده سوى الله عَزَّوَجَلَّ أو يتبعه اتباعًا مطلقًا أو يطيعه طاعة مطلقة فإن ذلك ولا شك من سبيل الطاغوت.

ثم بيَّن أن الطواغيت وهي جمع طاغوت كثيرة وأخبث الطواغيت ورأسهم وإمامهم إلى جهنم وبئس المصير هو إبليس، ولهٰذا بدأ به الكلام هٰذا لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله المؤلف هنا.

❁ **قال المؤلف: «ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله».**

هٰذا الأول.

المعنى الثاني:

قال المؤلف: «ومن عُبد وهو راض».

هٰذا قيد مهم جدًّا؛ لأنه لو عُبد وهو لا يرضى فلا يصح ولا يحل أن يُطلق عليه أنه طاغوت إنما يطلق الطاغوت على من عبد راضيًا، فمن عُبد وهو راض بالعبادة من دون الله عَزَّوَجَلَّ فإنه طاغوت.

المعنى الثالث:

قال المؤلف: «ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه».

ما الفرق بين الثاني والثالث؟ الثالث قد يدعو الناس إلى عبادة نفسه فإنه يكون طاغوتًا حتى لو لم يُعبد، يعني الأول يرضى أن يعبد فهو يراهم يعبدونه وهو راضٍ بالعبادة -عياذًا بالله-، الثاني يقول -عياذًا بالله- للناس: اعبدوني فإذا دعا إلى عبادة نفسه فسواء أطيع أو لم يطع فإنه طاغوت، على أي اعتبار أطاعه الناس فعبدوه أو لم يطيعوه ولم يعبدوه، في الحالين كليهما يكون طاغوتًا.

قال المؤلف: «ومن ادعى شيئًا من علم الغيب».

لأن الغيب خاص بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهٰذا سمى نفسه تعالى بعالم الغيب، وسمى نفسه بعلام الغيوب، فالغيب لا يمكن أن يطلع عليه أحد إلا الله؛ ولهٰذا قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وأمر الله تعالى رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يبين أنه لا يعلم الغيب، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فلا يعلم الغيب إلا الله تعالى، وإنما يُطلع الله تعالى على بعض غيبه من شاء من رسله بيانًا لكونهم صادقين قد جاؤوا بهٰذا الوحي من عند رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾ [الجن]؛ فيطلع الله ولا

شك الرسل على بعض الغيوب لا على كل الغيوب؛ لأن الغيب المطلق لله كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠] هذا الأصل الغيب لله وحده، لكن قد يُطلع الله تعالى أنبيائه على شيء من الغيوب بيانًا لكونهم صادقين قد جاؤوا بهٰذا الأمر من عند الله، فمن ادعى شيئًا من علم الغيب فهو طاغوت، وهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، إذا قال: إني أعلم الغيب؛ لأن الغيب خاص بالله تبارك وتعالى.

۞ قال المؤلف: «ومن حكم بغير ما أنزل الله».

أصل الحكم بما أنزل الله تعالى مرتبط بتوحيد الربوبية؛ لأن تنفيذ الحكم هو مقتضى ربوبيته عَزَّوَجَلَّ، فينفذ حكم الله، الأرض أرض الله، والعباد عباد الله فلا يُطبق في أرض الله على عباد الله إلا شرع الله، فأما من طبق في أرض الله على عباد الله قوانين باطلة اجتلبها من أي موضع اجتلبه فهو لا شك طاغوت، ولا يحل أن يُطبق سوى شرع الله تبارك وتعالى.

ولهٰذا قال الله ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فجعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ طاعة الأحبار والرهبان في غير الحق -حين أحلوا الحرام وحرموا الحلال- جعل ذلك من اتخاذهم أربابًا، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] فسمى ذلك تعالى شركًا، فلا يحل أن يُطبق في أرض الله تعالى إلا شرعه عَزَّوَجَلَّ، وكل شيء على خلاف شرعه فالواجب على المسلمين أن يغيروه، فإذا وجدت أنظمة واتضح أنها على خلاف الشرع فإنها تغير، وهٰذا -ولله الحمد- معمول به في البلاد هنا، كثير من الأنظمة تضعها مثلا بعض الشركات أو بعض الجهات ويكون الواضع للنظام غير عالم ولا حصيف بأحكام الشرع، فيتضح أن فيه مخالفة للشرع فيُغير النظام، أو يُرفع إلى المحكمة فإذا رفعت القضية إلى المحكمة يقول القاضي: النظام هٰذا خاطئ باطل وما تريده أنت من الأمور التي تستحق على هٰذا النظام لا تستحقها لماذا؟ لأن هٰذا النظام في أصله باطل، وكان الواجب ألا يوضع هٰذا النظام ويجب أن يُغير فالغلبة للشرع، فإذا وجد شيء على خلاف الشرع فإنه يُغير، وإذا أريد وضع

استحقاقات أو متطلبات بناء على نظام على خلاف الشرع فالقضاء الشرعي يرده؛ لأن المفترض أن تكون الأمور على وفق الشرع فقط، وألا يتحاكم إلى غير شرع الله، وثمة أنظمة ولله الحمد غيّرت.

❍ **ومن مناقب شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز** رحمه الله تعالى عليه أنه كتب إلى المسؤولين في هٰذه البلاد بأنه لا يصح أن يكون في الأنظمة اسم المُشرِّع؛ لأن كلمة المُشرِّع عند أصحاب الأنظمة موجودة وسارية ومنتشرة، فصدر قرار من مجلس الوزراء بالمملكة بمنع كلمة المُشرِّع بتاتًا في الأنظمة؛ لأنه لا يصح أن يُقال هٰذا تشريع من قبل العباد، يصح أن تُجعل أنظمة مثل أنظمة المرور أو غيرها إذا كانت على خلاف الشرع لا إشكال، فإذا وجد في أثناء هٰذه الأنظمة شيء على خلاف ما قرره أهل العلم فإنها تغير الفقرة المحددة هٰذه، لكن أن يوضع أنظمة مثل ما هو حاصل مثلا في الوزارات إذا أردت أن تأتي إلى معاملة من المعاملات لتطلبها يقول لك: اذهب إلى الصادر والوارد وائتنا برقمها ثم يكون هٰذا أسهل علينا من أن نبحث في هٰذه المعاملات التي هي بالألوف، فيضعون صادرًا ووارداً يعطى عليه رقمًا، يُكتب فيه الرقم والتاريخ لا بأس به، ما فيه إشكال هٰذا؛ لأن هٰذا على غير خلاف الشرع ما دام لا يخالف الشرع فلا بأس، وهو في مصالح من مصالح المسلمين.

ومن ذلك مثلًا التزام هٰذه الأنظمة مثل في الإشارات ونحوها لأجل أن يُنظم السير؛ لأنه لو قيل للناس انطلقوا والتقت السيارات فإنها بلا شك ستتوقف مسيرة السيارات، فإذا وجد نظام يحدد أنه في حال الإضاءة بالإشارة الخضراء تنطلق هٰذه السيارات التي في هٰذه الجهة، والبقية تتوقف السيارات بالآلاف لأنه لو لم توجد مثل هٰذه لدخلت السيارات في بعضها، وما تمكن الناس من أن يصلوا إلى مصالحهم، لا بأس ما فيه إشكال، فمثل هٰذه الأنظمة التي على غير خلاف الشرع هي من الجائز، فإذا وجد في أثنائها ما يخالف الشرع يُغير ويُشطب ويُعدل وهٰذا المنصوص عليه ولله الحمد حتى في النظام الأساسي.

لما ذكرت فقرات النظام الأساسي ذكر أن الشرع هو الذي له في هٰذه البلاد هو الذي له الغلبة على جميع الأنظمة بما في ذلك النظام الأساسي نفسه، بحيث لو وجد فيه شيء فإنه يحاكم وفق الشرع، فالشرع حاكم على النظام الأساسي في البلاد كلها، وعلى سائر الأنظمة في الوزارات، وفي الجامعات، وفي المصالح الحكومية؛ لأن الشرع هو الذي يجب أن تكون له الغلبة، ففي حال وجود فقرة أو فقرات على خلاف الشرع تغير هٰذه؛ لأن الأصل كما قلنا الدولة الإسلامية الأصل أن الغلبة فيها للشرع الشريف.

❍ **والحكم بغير ما أنزل الله، ذكر أهل العلم أن الكلام فيه على نوعين**؛ فثمة حكم بغير ما أنزل الله يرتد به من حكم بغير ما أنزل الله بإجماع علماء أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن قال: إن تحكيم غير ما أنزل الله سواء أنظمة، أو أعراف، أو أسلاف أو أي شيء، قال: إن هٰذه أفضل من الشرع، أو مساوية للشرع، أو الشرع أفضل منها لكن يجوز الاحتكام إليها، أو قال ما هو أوقح من عبارات خبثاء العلمانيين والزنادقة بأن قال: إن الشرع غير مناسب لهٰذه القرون، وإنه ولى زمانه أو قال: إن الشرع هو سبب في تخلف المسلمين، أو أن أحكامه لا تناسب في مسألة المرأة، أو في الاقتصاد، وإنه يجب أن تجتلب أحكام على خلاف الشرع متعلقة بالمرأة ويعاد تنظيم أمرها؛ لأن أحكام الشرع متخلفة في مسألة المرأة أو في مسألة الاقتصاد أو في غيرها، فهٰذا بإجماع علماء أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كافر مرتد يُستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه جعل شيئًا من هٰذه الأنظمة أعظم من الشرع أو مساويًا له، أو أساء العبارة، أو قال: إنه يجوز مجرد جواز.

❍ **أما إذا حكّم هٰذه الأنظمة لهوى في نفسه**؛ فإن كثيرًا من أهل العلم يقول: إنه في مثل هٰذه الحالة يكون كفره من قبيل الكفر الأصغر؛ لأن القاضي الذي يرتشي مثلًا في الدولة الإسلامية -حتى قديمًا- لو أن قاضيًّا رشي رشوة فجعل الحق للظالم على المظلوم، ماذا فعل؟ حكّم غير الشرع الواقع أنه حكم غير الشرع، أو أنه لهوى في نفسه، لحبه هٰذا المتقدم أو لبغضه للطرف الثاني جعل الحق للظالم على المظلوم، مع علمه لا شك أنه حكّم غير

الشرع بلا ريب، فهل يكفر هٰذا القاضي الذي ارتشى أم فعله فعل أهل الفسق والظلم؟ لا شك أن فعله فعل أهل الفسق والظلم قالوا: فكذلك من حكم غير الشرع ما دام يقول إن هٰذه الأنظمة التي اجتلبناها لا نشك أنها لا يمكن أن تدنوا من الشرع، وأن الأفضل والأكمل للإنسان أن يطبق شرع الله عليه، لكن عندي هوى أنا لو لم أطبق هٰذا الشرع ما حصلت، أو لو لم أطبق هٰذه الأنظمة ما حصلت على وظيفة، لما صار في هٰذا الجاه؛ فأنا أعلم أن شرع ربي أرفع وأجل وأعظم ولا يمكن أن أقارن الشرع بهٰذه الأنظمة التي أنا أحتقرها وإن طبقتها، لكني صاحب هوى مثلي مثل من يشرب الخمر مع علمه بحرمتها، فهٰذا قال كثير من أهل العلم: إنه لا يكفر كفرًا مخرجًا من الملة وإنما كفره أصغر.

❍ **وثمة تفصيلات فمن أهل العلم من قال**: إنه يختلف وضع التقنين العام بحيث يجعل الحق باطلًا والباطل حقًّا، والمباح حرامًا والممنوع حلالًا يختلف عن وضع الأحوال الجزئية، ومنهم من قال: لا فرق، فالحاصل أن ثمة مواضع في تحكيم غير الشرع هي محل إجماع، مثل الصور التي ذكرنا، وثمة مواضع هي محل خلاف ونزاع.

❍ **والواجب على أمة محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعلم أن التخلف كل التخلف هو في أن يُترك شرع أعلم مَنْ خلق سبحانه، وأحكم من خلق ويذهب إلى زبالات أفكار الاشتراكيين أو سخافة الفرنسيين في قوانينهم أو البريطانيين أو غيرهم، هٰذا والله هو التخلف يترك شرع رب العالمين الذي قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]، لكلمات هؤلاء المخمورين المخبوثين الذين هم إلى الجنون أقرب منهم إلى العقل.

انظر ماذا فعلت بهم أنظمتهم وفلسفاتهم في بلادهم انظر إلى أعرافهم، وإلى أحوالهم ما الذي فعلت بهم مزقتهم كل ممزق ودمرتهم غاية التدمير، أعراف هناك على أخبث ما يكون لا يوجد لها نظير حتى في تاريخ الجاهلية، ماذا فعلت بهم الأنظمة إلا أسوء ما يكون،

فالتخلف كل التخلف في ترك الشرع، وانجلاب هٰذه الأنظمة الفاسدة الفاجرة الواجب على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تحكم شرع ربها في عباده على أرضه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم بيَّن ما يتعلق بالآية وهي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

❁ **قال المؤلف:** «وهٰذا هو معنى لا إله إلا الله».

وهٰذا شرحناه، شرحنا النفي والإثبات في هٰذه الآية، قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ نبهنا إلى المراد به أن المقصود لا إكراه في الدين بظهور أدلته ووضوحها وجلائها؛ ولهٰذا قال بعده: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾؛ إذا تبين الرشد من الغي؛ فصاحب النفس السوية السليمة يختار الرشد على الغي، هٰذا المعنى، وليس المعنى أنك لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر ولا تنكر على أهل الكفر وأهل الفجور لقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، هٰذا غلط منتشر، وفاشي فشوًّا شديدًا، ومنه قول كثير من الناس إذا رآك تنكر منكرا على أحد مثلًا يعمل أثناء الصلاة أو على أحد قد أظهر مثلًا الأغاني والموسيقى أو أظهر شيئًا من عورته أو نحو ذلك يقول لك بعض الناس يقول: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ هٰذا غلط واستدلال في غيره محله قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ نزل في سورة هي سورة الكافرون فالكلام مع الكفار الذين لهم دين ولنا دين آخر، أما أخي المسلم هٰذا العاصي فدينه وديني واحد لا أقول لي دين ولك دين، كيف له دين؟ وهو مسلم، ولي دين؟ وأنا مسلم؛ ديننا واحد.

❍ **الأمر الآخر هٰذه السورة وما اسمها؟** سورة الكافرون، وما أول آية فيها؟ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فالكلام موجه أصلًا للكفار فمن الخطأ أن تأتي إلى آية، إلى سورة وجه الكلام فيها للكفار وتنزله على مسلم، هٰذا لا يقال لمسلم ولا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمثل هٰذه الاستدلالات.

قال المؤلف: «وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام».».

أعظم شيء وأجل شيء مُقدمًا على الأوطان والقبائل والأهل والأنفس والأموال والعشائر وكل شيء، هو الإسلام فهو رأس الأمر وأجله وأرفعه هٰذا الدين العظيم، رأس الأمر الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الإسلام، والواجب على المسلم أن يجعل هٰذا الدين مقدمًا على دنياه وعلى كل شيء، وهٰذه من أكبر علامات الإيمان الحقيقي، أن يكون دين العبد مقدمًا على كل شيء سواه.

قال المؤلف: «رأس الأمر الإسلام، وذروة سنامه».

أي: أعلاه.

قال المؤلف: «الجهاد في سبيل الله».

ولهٰذا قلنا إن الجهاد في سبيل الله له مقام كبير، وما دام ذروة السلام فهو أعلى الإسلام، ولا يمكن يا أخوة أن نعرف ذروة السنام إلا إذا عرفنا أحكامه، ولهٰذا من الخلل الكبير أن يقتحم أمر الجهاد في سبيل الله دون علم بأحكام الجهاد، لا بد أن نعرف أحكام الجهاد وأن نكون على دراية وعلى بصيرة بالجهاد؛ لأنه هو ذروة السنام، وكونه ذروة السنام معناه أنه في موضع عالي، ومن علوه أن يعلو علمه، وأن نحتاج إلى تعلمه ومعرفته، وأن لا يكون كيف ما اتفق.

قال المؤلف: «وعموده الصلاة».

وهٰذا من أظهر الأدلة على أن ترك الصلاة كفر؛ لأن البيت إذا أزيلت عموده، الخيمة إذا أزلت عمودها ماذا يحصل لها؟ تسقط ولا يمكن أن توجد خيمة بلا عمود، ولو أردت أن تفعل ما تفعل وقويت الأطناب التي تشد بها الخيمة وجعلتها خيمة جديدة من أحسن الخيام، لكن بدون عمود لا يمكن أن تقوم تظل ساقطة، فكذلك الصلاة من لا صلاة له فلا إسلام له ولا دين له.

قال المؤلف: «والله أعلم».

إحالة العلم لله، وختم بالصلاة والسلام على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، اللّٰهمَّ صل وسلم على محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين[١].

ألقيت هذه المجالس من ليلة الحادي والثاني
من شهر جمادى الأولى سنة ستة وثلاثين وأربع مئة وألف
في دورة التعليم الميسر بمسجد النخيل،الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.

(١) نهاية المجلس الرابع.